

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي



الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: 23181833053168

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: الأدب الجزائري.

بغنوان:

الأنساق الثقافية المضمرة في رواية "مدن المرجان"  
لزهرة كشاوي

إعداد الطالبة:

❖ إكرام قادي.

تمت المناقشة بتاريخ: 2024/06/06.

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الإسم واللقب
رئيسا	أ.د/ أحمد أمين بوضياف
مشرفا ومقررا	أ.د/ عمار بن لقريشي
ممتحنا	د/ عمر عليوي

السنة الجامعية: 1444 - 1445 هـ / 2023 - 2024 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضاف بالمسيلة  
كلية الآداب واللغات  
قسم اللغة والأدب العربي



تصريح شرفي  
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيدة (ة): قاسم كرام الصفة: طالب  
الحامل (ة) لبطاقة التعريف رقم: 406836060 والصادرة بتاريخ: .....  
المسجلة بدائرة أمن الجوار  
المسجلة (ة) بكلية: الآداب واللغات قسم: اللغة والأدب العربي تخصص: أدب جزائري  
والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر، عنوانها: .....  
.....  
.....

أصح بشرفي أنني أتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و  
النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: .....  
إمضاء المعني  
.....  
المسيلة في: 2016  
المسؤول: .....  
المسؤول: .....

ملاحظة: أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016، الذي يحدد القواعد المنعقدة،  
الوفائية من السرفات العلمية ومكافحتها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شكر و عرفان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥﴾ (الأحقاف: ١٥)

أرفع أسمى كلمات الشكر والعرفان للأستاذين القديرين: "لحضر فلوس" والأستاذ "عمار بلقريشي" اللذين لجأت إليهما أول قديمي جامعة المسيلة التي لم أكن أعرف فيها أحدا للإشراف، فكانت حفاوتهما وطيب استقبالهما محفزا لي للمواصلة والعمل الدؤوب، ولولاهما لما كان العمل ليخرج بهذه الحلة النهائية في وقته المحدد، فالشكر الوفير لهما .

كما أشكر أستاذي "السعيد بن زرقة" الذي كان منذ أن درسنا عنده ولا يزال، محفزا ومرشدا لترقية العلم ولدفعنا للتحصيل.

كما لا أنسى شكر الصديقات اللواتي رغم بعدهن عرضن المساعدة، وبذلن النصح والتشجيع، فكانت كلماتهن الصادقة، ودعواتهم بالتيسير، مساعدة عظيمة بحق من حيث لم يدركن.

ولا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين وافقوا على الاطلاع على هذا العمل وتقويمه.

# الإهداء

- إلى الذي كان ولا يزال موجّهي ومرشدي الأول والسند الدائم الذي تغلب لطائف فعاله قوله.

أخي إلياس

- إلى منبّعي الحبّ والأمان

والديّ

- إلى المدرسة التي تلحّ عليّ من حين لآخر بذكرى مؤرّقة، وعندما استبدلتها للشفاء من سطوتها بصرح علميّ آخر لم أزد إلاّ أنني أكّدت لنفسي قول الشاعر: "وحنينه أبدا لأوّل منزل".

قادي إكرام

مقدمة

تعتبر الرواية جنسا من الأجناس الأدبية التي ارتبطت بالمجتمع، فواكبت تغيّراته شكلا ومضمونا لذا لا نبالغ إن قلنا بأنها كانت المرآة التي تعكس هموم الشعب، وآلامه، وطموحاته، مجسّدة في أبطالها وشخصياتها السردية، وقد ظهرت العديد من المناهج النقدية التي درست الرواية من حيث أبعادها الأدبية الجمالية، غير أنّها لم تكن كافية لسبر أغوار النص، وفتح التأويل والإحاطة بجوانبه الفكرية الكامنة والظاهرة، وفضح عيوب الخطاب الثقافي الذي ساهم الأدب في تجذره وانتقاله عبر العصور بل وفي صياغة الفكر المجتمعي، فكان لزاما ظهور منهج جديد أو نشاط أدبي حديث يركز على الرؤية الثقافية للأدب عامة والرواية بالخصوص مع ما تحمله من رسالة - من المجتمع وإليه - مؤثرة ومتأثرة بالمحمول الثقافي، فالأدب عنصر لا يتجزأ من عناصر الثقافة ومركبات الإيديولوجيا للمجتمعات الإنسانية، وهو مؤرخ لمراحل تطورها، وسمة بارزة تميزها، فظهر النقد الثقافي نتاجا لتطورات مابعد الحداثة ألغى سلطة الجمالي التي يتمركز فيها النص، وركز على سلطة الثقافة والمحمولات الفكرية بنقد الأنساق المضمرّة في الخطاب، وقد وجد هذا المنهج سبيله إلى النقد العربي عن طريق كتاب الغدامي الذي أفرد له دراسة الأنساق الثقافية العربية المضمرّة في الشعر، وتلته مجهودات أخرى بغية كشف الأنساق المضمرّة في الخطابات الأدبية العربية مع اختلاف أجناسها، ونظرا لما يحمله هذا المنهج من إغراء للخوض في غمار النص والبحث في محمولاته ارتأينا أن تكون دراستنا الثقافية حول مدونة روائية جزائرية معاصرة وهي رواية مدن المرجان، وهذه الدراسة موسومة بعنوان: **الأنساق الثقافية المضمرّة في رواية مدن المرجان لزهرة كشاوي** وقد اخترنا هذا الموضوع نظرا لأهميته في ميدان الدراسات الأدبية والنقدية وقد وقع اختيارنا على هذه المدونة بالتحديد للأسباب الذاتية التالية:

- الفضول المعرفي حول منهج النقد الثقافي بعد تطبيق آليات الدراسة الأدبية في شهادة التخرج من المدرسة العليا للأساتذة وذلك بالموضوع المعنون ب: البنية السردية في الرواية الجزائرية -رواية ملك وحيد على رقعة الشطرنج لبلال مزابي- أنموذجا-

• الرغبة بنيل شرف السبق البحثي لدراسة هذه الرواية مع ما نشر حولها من منشورات مشيدة بالعمل الذي قامت به الكاتبة من طرف القراء والنقاد المهتمين بالكتابات الجزائرية

- اهتمامي بالروايات التاريخية والرغبة في الاطلاع على منجزات الكتاب الشباب .
  - الرغبة الملحة في البحث عن الفترة التاريخية السابقة لاحتلال فرنسا للجزائر وهذه هي الحقبة التي اهتمت الكاتبة بتسليط الضوء عليها
  - الميل إلى الرواية التاريخية دون غيرها من الأجناس الأدبية.
  - تتبّع الأنساق الثقافية المستترة في الخطاب الأدبي الجزائري خاصة التاريخي منه.
- هذه العوامل وغيرها جعلتني أختار رواية مدن المرجان بعد البحث الحثيث في العديد من المدونات السردية وقراءة أكثر من عمل كان مرشحا للدراسة، وجعلتني أختار دراستها ضمن منظور النقد الثقافي باعتباره الأنسب لها.

أما الأسباب الموضوعية فيمكن اختصارها في التالي:

- طبيعة التخصص " أدب جزائري" والذي فرض علينا اختيار مدونة من الأدب الجزائري
- الرغبة في إضافة دراسة جادة حول الأنساق الثقافية في الأدب الجزائري وإثراء خزانة البحث الجامعية.
- البحث في الأدب الجزائري الذي يعرض الخطاب الكولونيالي.
- تشجيع الشباب الجزائري المبدع والمتاب الواعدين بإخراج أعمالهم إلى مجال الدراسات النقدية

وعلى هذا فإنّ الدراسة قد عملت على الإجابة على إشكالية رئيسية هي:

ما الأنساق الثقافية التي أضمرتها رواية مدن المرجان؟ وما الخلفيات الثقافية التي تبلورت حولها؟ وكيف استطاع كل منها التعبير عن دوره فنيا داخل الرواية؟

وينضوي تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية حاولنا صياغتها كما يلي:

- ما النقد الثقافي؟
- فيم يتمثل النسق المضمّر؟
- كيف أسهمت الثقافة بشكل واع أو غير واع في تصدير الأنساق الثقافية للخطاب الكولونيالي؟
- ما أبرز الأنساق الثقافية التي وظفتها زهرة كشاوي؟ كيف وظفتها؟ وما دلالتها؟

وقد حاولنا الإجابة عن هذه التساؤلات وفق خطة بحث ممنهجة اقتضت تقسيم الدراسة إلى مدخل وفصلين؛ فصل نظري، وفصل تطبيقي، إضافة إلى خاتمة وقائمة بمجموع المصادر والمراجع المعتمدة.

أما المدخل فكان بعنوان: نظرة عامة حول مفاهيم (النسق، الثقافة، المضمّر، الرواية)

حاولت من خلاله البحث في المصطلحات لضبطها والإحاطة بالمفاهيم الأساسية للموضوع.

مرورا إلى الفصل الأول النظري والذي عنوانه ب: النقد الثقافي (المفهوم والأصول)

والذي تطرقنا فيه إلى مفهوم النقد الثقافي ونشأته وتطوره انتقالا إلى النقد الثقافي عند العرب ذاكرين أهم أعلامه.

أما الفصل الثاني فقد عنوانه ب "تمظهرات الأنساق الثقافية المضمرة في رواية مدن المرجان" وتم تقسيم الجانب التطبيقي إلى مبحثين؛ المبحث الأول متعلق بالأنساق الثقافية في العتبات (عتبة الغلاف الخارجي، عتبة الإهداء، عتبة التصدير، عتبة المؤلف) أما المبحث الثاني فقد تم فيه التطرق إلى الأنساق الثقافية المضمرة في المتن وركزنا على أهمها متمثلة في: النسق الاجتماعي، والنسق السياسي، والنسق الإيديولوجي. وللإحاطة بما أمكن من جوانب ثقافية في الرواية وحتى تكون الدراسة موضوعية متمسكة بالصدق والجديّة لبلوغ عمل يحمل لمسة إضافية للساحة البحثية الجامعية وحتى يكون مثمرا فإننا استعناً بآليات

ومبادئ النقد الثقافي ونظرية الأنساق العامة باعتباره نشاطا منفتحا على مجموعة من العلوم الأخرى، كما استعنا بالمنهج السيميائي في تحليل العتبات الخارجية .

وقد استفدنا في هذا البحث من مجموعة من المصادر والمراجع نذكر أهمها:

- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية)
- آرثر أيزابجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي في المفاهيم الرئيسية.
- ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من تسعين تيارا أو مصطلحا نقديا معاصرا.
- أما بخصوص الدراسات السابقة فقد اعتمدت على المذكرات الأكاديمية التالية:
- سهيلي سمراء، الأنساق الثقافية في الرواية النسوية الجزائرية المعاصرة ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه .2020/2019
- قبه السعيد، الأنساق الثقافية في الرواية الجزائرية المعاصرة، أطروحة مكملة لنيل درجة دكتوراه 2021/2020.

ولا ننكر أنه قد اعترضت طريقنا مجموعة من الصعوبات والعقبات منها :

- حداثة المدونة فطبعتها الأولى كانت سنة 2023، وعدم التطرق لدراساتها في مجال النقد الثقافي لذا فقد كان لنا السبق في تسليط الضوء على القضايا التي تضمنتها .
- كون الرواية الجزائرية معبرة بلسان الآخر الحامل للخطاب الكولونيالي وبالتالي فإن الدراسة الثقافية تعدت كونها دراسة لثقافة الكاتبة الروائية إلى ثقافة الراوي الحاضر في الرواية أي أفكار المجتمع الأوروبي في القرن التاسع عشر، ومحاولة استخراج العيوب المجسدة في الأنساق المضمرة، مع قلة المصادر التاريخية التي تتناول تلك الفترة وقلة المذكرات التي تؤرخ للمرحلة.
- حداثة ميدان الدراسات الثقافية وقلة المصادر والمراجع العربية وعدم توفرها في المكتبات وفي الشبكة.

• ضيق الوقت مع الارتباط العملي في المؤسسة وكثافة الحجم الساعي في العمل.

لكن رغم كل هذه الصعوبات ويفضل الله عز وجل وبتوجيهات الأستاذ المشرف: "عمار بلقرشي" والأستاذ "لخضر فلوس" اللذان لم يبخلا علي بملاحظتهما القيمة لإثراء العمل وتعديله فإنني قد وفقت لإكمال العمل في هذه الحلة التي أشكر أعضاء اللجنة على قبول النظر فيها وأسأل من الله سبحانه وتعالى أن يتقبله بقبول حسن ويكتب لي فيه أجر من سعى لطلب العلم ونفع نفسه وغيره.

# المدخل :

نظرة عامة حول مفاهيم (النسق، المضمير، الثقافة، الرواية)

أولا :مفهوم النسق

ثانيا :مفهوم الثقافة

ثالثا :مفهوم المضمير

رابعا :مفهوم النسق الثقافي

خامسا :أنواع الأنساق الثقافية

سادسا :مفهوم الرواية

## تمهيد :

لا يمكن أن ننطلق في أي دراسة أو بحث دون إحاطة بمفاهيمه الأساسية وهذا ما سنحاول القيام به في هذا المدخل، بتحليل المصطلحات المشكلة لعنوان الدراسة و إبراز مفاهيمها.

## أولاً - مفهوم النسق :

### 1- لغة:

يعود أصل المفردة إلى الجذر الثلاثي نَسَقَ وقد ورد في المعاجم: "نَسَقَ الدر وغيره ونَسَقَه وُدْرٌ مَنْسُوقٌ ، ومن المجاز كلام متناسق وقد تناسق كلامه وجاء على نسق ونظام<sup>1</sup>

وعرفه ابن منظور في لسان العرب: النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء وقد نَسَقْتَه تنسيقاً... والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطف عليه شيئاً بعده جرى مجرى واحداً، والنسقُ، بالتسكين مصدر نَسَقْتُ الكلام إذا عطفت بعضه على بعض... وثرغ نسق إذا كانت الأسنان مستوية<sup>2</sup>

وقد وردت اللفظة بالمعنى نفسه في المنجد والمعجم الوسيط<sup>3</sup>.

وبذلك يشير التعريف اللغوي للنسق إلى دلالاته الثابتة على الترابط والتماسك والاستواء أحياناً والتنظيم بين العناصر سواء استعملت في سياق لغوي أو غير لغوي.

<sup>1</sup> أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، ج2، مادة(نسق)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، م1998- ص.266

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1998م، ص4412

<sup>3</sup> ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (نسق)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004م، ص919.

## 2- اصطلاحاً

يختلف المعنى الاصطلاحي عن اللغوي في كونه يتوسع ويرتبط بالحمولة المعرفية للمجال المراد تناوله فيه فكل باحث ودارس يعرفه انطلاقاً من مجاله فقد ارتبط المصطلح عند دوسيسير (De Saussure) ارتباطاً وثيقاً باللسانيات فهو يرى أن اللسان " نسق من العلامات، وذلك يعني بأن كل علامة تختص بعلاقات تقييمها مع علامات أخرى"<sup>1</sup> وبذلك نجد له علاقة بالبنية .

ويحاول روبرت شولز ( R. Schulz ) تبيين ماهيته بين الحسية والمعنوية موضحاً: " يجب أن نؤكد أن النسق اللغوي ليس شيئاً محسوساً"<sup>2</sup>

وحاول عبد العزيز حمودة تفسير ذلك فجعل منه أساساً للعمل الأدبي ، بل ربط بينه وبين قوانين الحركة فيقول: " إن نسق اللغة ليس شيئاً مادياً محسوساً شأنه في ذلك شأن قوانين الحركة فإنّ ما نستطيع أن نبدأ بدراستنا لأي لغة هو شواهد الكلام الفردي... وحينما نصل إلى النسق فإن تطبيقه على الكلام، على الحالات الفردية لاستخدام اللغة هو الذي يعطي الكلام معنى، ومن دون هذا النسق يصبح الكلام أصواتاً بلا دلالة أو معنى. نفس الشيء بالنسبة للنسق الأدبي، حيث يكسب ذلك النسق العام الأعمال الفردية دلالتها ومعناها.<sup>3</sup> ومنه يتطلب الوصول إلى النسق الأدبي وفهمه الانطلاق من العناصر الجزئية المشكلة للعمل أي من المفردات و ربطها بشواهد من الأدب العربي أعم لإدراك كنه العمل .

ويحدد سعيد علوش وظيفة النسق انطلاقاً من آراء فوكو: " والنسق عند فوكو

<sup>1</sup> ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، ط1، 2007م، ص106،

<sup>2</sup> عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من النظرية التفكيكية إلى البنيوية، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998م، ص

193.

<sup>3</sup> المرجع نفسه.ص193.

(M. Fouccault) علاقات تستمر وتتحوّل بمعزل عن الأشياء التي تربط بينها ويعمل النسق على بلورة منطق التفكير الأدبي في النص، كما يحدد النسق الأبعاد والخلفيات التي تعتمد عليها الرؤية<sup>1</sup>، أما طه عبد الرحمان فيحاول تبين خطوات تحديد أنساق اللغة العربية انطلاقاً من الأبجدية والقواعد النحوية للتمييز بين الفاسد في اللغة وبين الصحيح منها ويعبر عن مفهومه: "النسق هو مجموعة جزئية من اللغة منغلقة انغلاقاً لزومياً" وللزومية هنا خاضعة لضبط القواعد النحوية لها فلا تحيد عما اتفق عليه العرب بناءً<sup>2</sup>.

وقد انتشر هذا المصطلح في النقد الثقافي مع الناقد عبد الله الغدامي الذي يؤكد على معناه اللغوي البسيط الوارد في المعاجم والذي سبق ذكره، كما يحذر من استعماله الخاطئ انطلاقاً من هذا المفهوم دون وعي تام بالمعنى وأخذه بمعزل عن وظيفته وصبغته الدلالية التي صبغته بها مركزيته في المشروع النقدي الحديث الذي انكبّ على الاهتمام به في كتابه فيقول: "يتحدد النسق عبر وظيفته لا عبر وجوده المجرد والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمرة"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص211.

<sup>2</sup> طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ص194

<sup>3</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2005م، ص77.

ثانيا - مفهوم الثقافة :

1- لغة:

الثقافة مصدر للفعل ثَقَّفَ وقد وردت الفعل في القرآن الكريم قال تعالى في سورة الأنفال :  
"فَأَمَّا تَتَقَفَّنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ" {الأنفال:57}.

وهنا بمعنى ظفرت بهم فقد جاء في لسان العرب "وثقفته إذا ظفرت به، ورجلٌ ثقَّفٌ لثقَّف إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به، ويقال ثقَّف الشيء أي سرعة التعلم".<sup>1</sup>

وقد وردت اللفظة في المعاجم بمعنى : " ثَقَّفَ وَثَقَّفَ ثَقْفًا وَثَقَّفًا وَثَقَّافَةً: صار حاذقاً خفيفاً فهو ثَقْفٌ وَثَقْفٌ وَثَقْفٌ وَثَقِيفٌ، وَثَقُوفَةٌ الكلام : حدِّقه وفهمه بسرعة وَالثَّقَاف من النساء: الفطنة"<sup>2</sup>

وجاء في الوسيط : " ثَقِفَ ثَقْفًا صار حاذقاً فطنا ، وَالثَّقَافَةُ : العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها"<sup>3</sup>، ومنه نلاحظ أن الثقافة مرتبطة بالفهم وسرعة البديهة وحياسة المعلومات وحسن استثمارها ولا تخرج عن هذه المعاني.

2-اصطلاحاً:

تعرف الثقافة بكونها : " تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والإيديولوجيات، وما شاكلها من المنتجات العقلية، واتجاه آخر يرى أن الثقافة تشير إلى النمط الكلي لحياة شعب ما والعلاقات الشخصية بين أفراده وكذلك توجهاتهم"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ص 492.

<sup>2</sup> لويس معلوف، المنجد في اللغة، مادة ( ثقَّف )، ص71.

<sup>3</sup> مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة ( ثقَّف )، ص98.

<sup>4</sup> مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة،

الكويت، 1997، ص.29

يحاول مالك بن نبي إيجاد تعريف للثقافة من خلال البحث في الأصول النفسية الاجتماعية للمصطلح فرغم أن للكلمة حضوراً منذ القديم في المعاجم العربية إلا أن تشكلها ووجودها كمفهوم كان بعد ربطها بالمصطلح اللاتيني culture وبعد البحث والدراسة والتنقيب عرّفها على أنّها: " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لإشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة الذي ولد فيه" <sup>1</sup>

فهي بالنسبة له محيط يعكس طباع الشخص ويشكله، فلا يمكن النظر لثقافة شخص ما بمعزل عن بيئته .

ويعرفها غي روشيه « Guy Rocher »: " على أنها: " مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل وهي طرق صيغت تقريبا في قواعد واضحة والتي أكتسبها وتعلمها وشارك فيها جمع من الأشخاص" <sup>2</sup> وبهذا التعريف الشمولي ينصرف الذهن إلا أنها تحمل معنيين أو تشمل كلا من الجانب المادي للحضارة وهو ما أشار إليه بن خلدون باعتبارها مرتبطة بال عمران، كما تشتمل على الجانب اللامادي الفكري الأدبي ولذلك تعتبر ثقافة الشعوب حاملة لتراثها الفكري وتراثها المادي الذي تعمل على حفظه. وإن الضرورة الكونية لتلبية الحاجة البيولوجية التي تدفع الإنسان لل عمران والتواصل هي ما تصنع ثقافته التي ينقلها من جيل لآخر وهذه خاصية في الإنسان لا تتوفر في غيره من الكائنات الحية، فرغم النظرة الكلية الشاملة لها والتي يفرضها المصطلح إلا أنها: " كل تتداخل أجزاءه تداخلا وثيقا، ولكن من الممكن أن نتعرف فيه على عناصر مختلفة هي التي تكون الكل" <sup>3</sup> لذا

<sup>1</sup> مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط4، 1984م، ص74.

<sup>2</sup> عادل مصطفى، مدخل إلى الهيرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى قدامير، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص11.

<sup>3</sup> مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص25.

فالتعرف على الثقافة لا يكون بالقراءة عنها من الكتب بل بالبحث في أجزائها المفككة والمشكّلة لها وهذا ما يشكّل نظرتنا الشّمولية لها، كما يعرفها رالف أنها: "كل متناسق من السلوك المتعلم ونتائج هذا السلوك، وأن العناصر المكونة لهذا الكل تكون مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد وتنتقل بواسطتهم من جيل إلى جيل آخر ويتضمن السلوك المتعلم هنا كل ما يقوم به الفرد من أفعال سواء كانت ظاهرة أو باطنة"<sup>1</sup>

وبهذا فإنّ الثقافة قابلة للتّديوع والانتشار والانتقال من جيل لآخر رغم خصوصيّتها ورغم ارتباطها بمجتمع دون آخر تميّزه، نظرا لاختلاف الظروف المؤدّية لها.

ثالثا - مفهوم المضمّر:

### 1- لغة:

لفظة مضمّر مشتقة وهي مفعول للفعل أَضَمَرَ وهو في لسان العرب بمعنى: "أضمرت الشيء أخفيته، وهو مُضَمَّرٌ وَضَمَّرٌ، وأضمرته الأرض: غيّيته إمّا بموت أو سفر"<sup>2</sup>.  
أما في المنجد فنجد: "أضمر في نفسه شيئا: عزم عليه"<sup>3</sup> وفي معجم مقاييس اللغة: " (ضمّر) الضاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على دقّة في الشيء، والآخر يدلّ على غيبة وتستر. فالأول قولهم: ضمّر الفرس وغيره ضمورا، وذلك من خفة اللحم، وقد يكون من الهزال والآخر الضمار، وهو المال الغائب الذي لا يرجى. وكل شيء غاب عنك فلا تكون منه على ثقة فهو ضمار"<sup>4</sup> وبالتالي فإنّ اللفظة دالة على التستر والتخفي

<sup>1</sup> الخنساء التومي، دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي، جامعة محمد خيضر بسكرة أنموذجا، جامعة بسكرة، 2016، ص59.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضمّر)، ص 2606.

<sup>3</sup> لويس معلوف، المنجد، ص455.

<sup>4</sup> أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، دار الفكر، بيروت، لبنان، لا.ط، 1979م، ص371.

فعندما تتعلق بالمحسوسات لا يكون الشيء المراد من الظاهر المعلوم المترائي للإنسان. وعندما تتعلق بالكلام يكون رهينا للتلميح والإلغاز والكناية ويكون غير مباشر .

## 2- اصطلاحا:

تتساءل كاثرين أوريكيوني في كتابها المضمّر عن الجدوى منه قائلة: " ما الذي يحول دون أن نتكلم بشكل مباشر فيكون ذلك أسهل على الجميع؟ فإن كنا نرمي إلى قول الجميلة الأولى (ج) لم ننطق بالجميلة الثانية (د) ؟ " <sup>1</sup>

وفي هذا إشارة إلى مدى الجهد الذي تتطلبه عملية التأويل والتحليل اللفظي في حالة عدم المباشرة ومواربة الألفاظ ، كما قد نجد الإضمار في الصور البيانية وفي التهكم، و تشير الباحثة إلى أنّ الخطاب وفقا للدلالات المعجميّة يشمل محتويين : محتوى بيّن ومحتوى مضمّر أو محتوى تعييني ومحتوى تضميني،<sup>2</sup> فقد يقول الإنسان مثلا : الضجيج هنا، وقد تحمل هذه العبارة معنى حقيقي تقريريّ كما قد يقصد بها ضمنا من المخاطب أو الجالسين إخفاض أصواتهم دون تصريح بالأمر.

## رابعا - مفهوم النسق الثقافي:

يعرفه عبد الفتاح كيليطو في كتابه المقامات قائلا : " ونعني بالنسق الثقافي بكل بساطة مواضعة (اجتماعية، دينية، أخلاقية، استيتيقية...) تفرضها في لحظة معينة من تطورها

<sup>1</sup> كاثرين كيبررات أوريكيوني، المضمّر، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص493.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص177.

الوضعية الاجتماعية، والتي يقبلها ضمناً المؤلف وجمهوره وهكذا يكون أفق النصوص المفردة والإنجازات الثقافية هو النقد الثقافي<sup>1</sup>

أما عبد الله الغدامي فيرى بأنها: " أنساق تاريخية أزلية وراسخة، ولها الغلبة دائماً وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق... وقد يكون ذلك في الأغاني أو في الأزياء أو الحكايات و الأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت<sup>2</sup> وبالتالي فهو ليس حكرًا على جانب واحد من جوانب الحياة الاجتماعية بل يشملها جميعاً .

وبالنسبة ليوسف محمود عليّات فيكسب الأنساق الثقافية خاصية جديدة نظراً لمفهوم الثقافة وهي خاصية الانفتاح فيرى بأنه " مادام النص حادثاً ثقافياً نسقياً فإن أنساقه تكتسب خاصية الانفتاح على فضاءات في الثقافة والإيديولوجيا والتاريخ"<sup>3</sup> كما يرى أن: " النسق في ضوء انفتاحه على مكون الثقافة-اللغة ، يؤسس نظاماً من العلاقات المرجعية الخاصة والاحتمالات الإشارية اللانهائية، حيث تضحى العلاقة بين الدال والمدلول اعتبارية لا حد لها"<sup>4</sup>

وهناك من الدارسين من يربط بين النسق وعلوم مختلفة تماشي تشعبه وارتباطه بالثقافة الإنسانية للمجتمع كما فعل نادر كاظم الذي ربطه بالأنثروبولوجيا والنقد فيقول: " مفهوم

<sup>1</sup> عبد الفتاح كيليطو، المقامات -السرود والأنساق الثقافية- تر: عبد الكبير الشراوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001، ص8.

<sup>2</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص80.

<sup>3</sup> يوسف محمود عليّات، النقد النسقي تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015م، ص20 .

<sup>4</sup> يوسف محمود عليّات، جماليات التحليل الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص42.

النقد الثقافي يقع في منطقة وسطى بين البناء الاجتماعي والبنية الكامنة في العقل الإنساني وذلك لجمعه بين وظيفة التفسير والاستيعاب للتجربة الإنسانية من جهة ، وبين وظيفة التأثير والتحكم في سلوك الأفراد من جهة أخرى... ويمكن البحث عن أصل مفهوم النسق الثقافي لدى أنتروبولوجيين ونقاد<sup>1</sup>

#### خامسا- أنواع الأنساق الثقافية :

يقرر عبد الله الغدامي أن الوظيفة النسقية تحوي نسقين متعارضين هما النسق المضمرة والنسق الظاهر وغياب أحدهما يجعل العمل لا يرقى للنقد الثقافي والدراسة الثقافية : "نسقان يحدثان معا وفي آن في نص واحد أو فيما هو بحكم النص الواحد يكون المضمرة منهما نقيضا ومضادا للعني فإن لم يكن هناك نسق مضمرة من تحت العني فحينئذ لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي"<sup>2</sup> وتشتد جمالية النص حتى يسهل على الكاتب تمرير أنساقه بسهولة وسلاسة وبالتالي فإن العمل الذي يحوي أنساقا مؤثرة يحظى بالرواج والانتشار لذا وجب على الناقد البحث في الأعمال المنتشرة ودراستها دراسة ثقافية وسبر أغوارها واستخراج أنساقها بوعي .

#### 1-النسق الظاهر :

وهو الشكل الجمالي الذي يتعامل معه القارئ أو الصورة الظاهرية التي يكون عليها العمل الأدبي أي النص في مادته الخام : "ولكن النص ليس هو الغاية القصوى للدراسات الثقافية ، وإنما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي"<sup>3</sup> وغرض الدراسة

<sup>1</sup> نادر كاظم ، تمثيلات الآخر صورة السود في المنخيل العربي الوسيط،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 95.

<sup>2</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص(77-78).

<sup>3</sup> يوسف عليمات، النسق الثقافي، قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم، وزارة الثقافة، مطبعة السفير للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص17.

الأدبية كما أقره غرينبلات هو: "دراسة الإنتاج الجمعي للممارسات الثقافية وبحث العلاقات بين تلك الممارسات وكيف جرت صياغة المعتقدات والتجارب الجمعية ، ثم نقلها من وسيط إلى آخر مركز في شكل جمالي يمكن التعامل معه"<sup>1</sup> أي أن الناقد المتبع لمنهج الدراسات الثقافية لا يتعامل مع هذا النوع من الأنساق بل يحاول تفكيكه وقراءة ما وراءه.

## 2-النسق المضمر:

يعرفه عبد الله الغدامي بأنه: " ذو طبيعة سردية يتحرك في حبكة متقنة لذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائما، ويستخدم ألقعة كثيرة وأهمها -كما ذكرنا- قناع الجمالية اللغوية وعبر البلاغة وجماليتها تمر آمنة ومطمئنة من تحت هذه المظلة الوارفة، وتعتبر العقول والأزمنة فاعلة ومؤثرة."<sup>2</sup> وبالتالي فهو يسدل عباءة الجمالي ليتخفى ويتغلغل في وعي الجماعة الاجتماعية .

## سادسا - مفهوم الرواية:

### 1- لغة :

الرواية مصدر للفعل روى ونجد هذه المادة في المعاجم العربية بالمعاني التالية :

" روى الحديث والشعر يرويه رواية وترواه، وفي حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " ترووا شعر حجية بن المضرب فإنه يعين على البر."<sup>3</sup>

<sup>1</sup> عبد العزيز حمودة ، الخروج من التيه ، دراسة في سلطة النص ص 253.

<sup>2</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص79.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (روى) ، ج3، ص1262.

وجاء في الوسيط :

" رَوَى عَلَى الْبَعِيرِ - رِيًّا : اسْتَقَى .

و- القوم، وعليهم، ولهم : استقى لهم الماء .

و- البعير: شدّ عليه بالروءاء. ويقال : روى على الرجل بالروءاء شده عليه، لئلا يسقط من البعير عند غلبة النوم .

و- الحديث او الشعر روايةً : حملة ونقله .<sup>1</sup>

وفي المنجد :

" رَوَى - رَوَايَةَ الْحَدِيثِ: نقله وذكره، ج رُوَاةٌ وَرَأْوُونَ .

رَوَى تَرْوِيَةً، رَوَاهُ الشَّعْرَ: حملة على روايته.

رَوَى رَوَايَةَ الْحَبْلِ: فَتَلَهُ .<sup>2</sup>

ويشير عبد المالك مرتاض إلى هذه المعاني في كتابه : " وإن الأصل في مادة روى في اللغة العربية هو جريان الماء، أو وجوده بغزارة، أو ظهوره تحت أي شكل من الأشكال، أو نقله من حال إلى حال أخرى، من أجل ذلك ألفيناهم يطلقون على المزادة الرواية، لأن الناس كانوا يرتوون من مائها، ثم على البعير الرواية أيضا، لأنه كان ينقل الماء، فهو ذو علاقة بهذا الماء، كما أطلقوا على الشخص الذي يستقي الماء هو أيضا الرواية"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة ( ر و ي ) ، ص384.

<sup>2</sup> لويس معلوف، المنجد في اللغة، ص289.

<sup>3</sup> عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد العربي، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998م، ص22.

من التنقيب عن معنى المفردة في المعاجم نجد أن مدلولاتها تتفق في كونها تشير إلى الحركة والربط و الجريان، وإلى الارتواء بنوعيه : وجدانيا وروحيا بالملفوظ من كلام العرب سواءً كان شعرا أو نثرا مع ما يحمله الكلام خاصة الموزون من أهمية عند العرب باعتباره ديوانهم وحاجة كل شاعر عندهم لرواية وماديا بالماء الذي يعتبر أساس الحياة و سبيل استمراريتها عند الكائنات الحية.

## 2-اصطلاحا:

تعتبر الرواية جنسا أدبيا متميزا عن غيره من الأجناس الأخرى بخصائص وقد جاء تعريفها في معجم مصطلحات نقد الرواية كالتالي: " نص نثري تخيلي سردي واقعي، يدور غالبا حول شخصيات متورطة في حدث مهم، وهي تمثيل للحياة والتجربة واكتساب المعارف، يشكل الحدث والوصف والاكتشاف عناصر مهمة في الرواية، وهي تتفاعل وتنمو وتتحقق وظائفها من خلال شبكة تسمى الشخصية الروائية، فالرواية تصور الشخصيات ووظائفها داخل النص وعلاقتها فيما بينها وسعيها إلى غايتها ونجاحها أو إخفاقها في السعي"<sup>1</sup>

كما يمكن تعريفها بأنها : " سرد قصصي نثري طويل يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد"<sup>2</sup>ومن حيث الموضوع والهدف من كتابتها فهي : " تعالج قطاعا من المجتمع رحابه واسعة لشخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها وتتفرع تجاربها وتتصارع أهواؤها ومواقفها، ومن ثم فإن الكاتب يحتاج إلى تأمل طويل"<sup>3</sup>ومنه

<sup>1</sup> لطيف زيتون، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص99.

<sup>2</sup> إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقس، تونس، ط1، 1986م، ص176.

<sup>3</sup> عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث(1830-1974)، معهد البحوث والدراسات الأدبية، القاهرة، مصر، د.ط، 1976م، ص198.

## المدخل: نظرة عامة حول مفاهيم (النسق، الثقافة، المضمرة، الرواية)

---

فالرواية متصلة اتصالاً وثيقاً بالمجتمع البشري الذي ينتمي إليه الكاتب فشخصياتها ليست إلا محاكاة لشخصيات محيطة بالكاتب أسقطها على الورق وأضاف لها الخيال ليغير من سيرورة حياتها مدافعاً عما يتبناه من أفكار سواء صرح بذلك أو لم يصرح.

# الفصل الأول:

## النقد الثقافي (المفهوم والأصول)

- 1 مفهوم النقد الثقافي
- 2 نشأة النقد الثقافي وتطوره عند الغرب
- 3 النقد الثقافي عند العرب
- 4 روافد النقد الثقافي

### تمهيد:

يعتبر النقد الثقافي من أبرز المخرجات النقدية لما بعد الحداثة فقد تعدى المناهج التي سبقته من شكلانية وبنوية وسيميائية، هذه الأخيرة التي كانت تنظر للنص بعيدا عن كل سياقاته الخارجية وتعزله عنها، وأغرقت في الاهتمام بقيمته الجمالية فأهملت المعنى وقدست العبارة، وككل عصر فإن التغيير الحادث في النظام العالمي قد أبرز عدم جدوى هذه الدراسات فكان النقد الثقافي هو البديل المتاح أمام الباحثين، بكسر القيمة الجمالية والنظر إلى ما وراءها من قصد ومدى تأثيرها في الأعمال الثقافية.

### 1- مفهوم النقد الثقافي:

تختلف تعريفاته عند الدارسين باختلاف تعريفهم لمصطلح "ثقافة" الذي يعتبر بدوره من المصطلحات الخلفية في الأدب رغم ما يبدو عليه من بساطة فيعد بذلك مفهوم النقد الثقافي إشكاليا لدرجة حتى أن هناك من الباحثين من يستبدله بالدراسات الثقافية والنقد الحضاري ونبداً بتعريف أول من بلور المفهوم في مدرسة فرانكفورت وهو تيودور أدورنو الذي يرى بأنه "مفهوم بورجوازي أنتجه المجتمع الاستهلاكي... فهو يحول الثقافة إلى سلعة ويخضعها لدوائر التشيؤ والتسليع والاستهلاك"<sup>1</sup> وحسب أدورنو فهذا التفكير المادي الذي غلب على المجتمع الاستهلاكي صبغ المفهوم بصبغته .

كما يعرفه عبد النبي اصطيف قائلا: "أما النقد الثقافي **Cultural criticism** فإنه يشير إلى تحليل الأدب بما في ذلك الأدب الشعبي **Popular Literature** وأشكال الفن الأخرى -بما فيها الرسم والعمارة والنحت والرقص والموسيقى والمسرح والفن السابع وفن الرسوم المتحركة- ضمن سياقاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، مستلهمين

<sup>1</sup> هدى وصفي، النقد الثقافي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 63، شتاء وربيع 2004م، ص 107.

في ذلك علم الاجتماع والعلم الفلسفي المادي ولاسيما الماركسية<sup>1</sup> وهو في هذا التعريف يعده فرعاً من فروع النقد الأدبي مخالفاً بذلك عبد الله الغدامي الذي يراه فرعاً من فروع اللسانيات ينتقل بالعمل من كونه الأدبي إلى كونه الثقافي فيعرفه بأنه: " فرع من فروع النقد النصوسي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغته"<sup>2</sup>

كما يشير إلى أن النقد الثقافي لا يتحقق إلا بتحليل المضمر بدقة، لا بالنظر في الجمالي الظاهر والاكتفاء به: " والدلالة النسقية هي في المضمر وليست في الوعي وتحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بمبدأ النقد الثقافي لكي تكتشفها ولكي تكتمل منظومة النظر والإجراء"<sup>3</sup> كما يعرف كل من ميجان الرويلي وسعد البازعي النقد الثقافي بأنه: " نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعاً لبحثه وتفكيره، ويعبر عن مواقف إزاء تطورها وسماتها"<sup>4</sup> ويحدد فنسنت ب ليتش (Vincent B Leitch) وظيفة هذا النقد وهي أن: " يفحص ويسائل القيم غير المسلم بها عادة، أو القيم الخفية المدمجة في نظم العقل، متوسلاً في ذلك باللغوي والأخلاقي والاقتصادي والسياسي والتاريخي والفلسفي والقانوني والتربوي والأسري والديني، وكذلك بالمعتقدات الجمالية، والطبقية. والتمثيلات الفاعلة في الأعمال الثقافية وأنشطتها"<sup>5</sup> إذن فهو غوص في اللاوعي البشري ومحاولة لاستكشاف الظواهر التي تحكم الجماعة البشرية دون تسليم صريح بها .

<sup>1</sup> عبد النبي اصطياف، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد (3/25) العدد 99، ربيع 2018م، ص22.

<sup>2</sup> عبد الله الغدامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص85.

<sup>3</sup> عبد الله الغدامي وعبد النبي اصطياف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004م، ص 27.

<sup>4</sup> ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، د.ط، د.ت، ص305

<sup>5</sup> فنسنت ب. ليتش، النقد الثقافي النظرية الأدبية وما بعد البنيوية، تر: هشام زغلول، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2022م، ص 28.

بالتالي فإن الممارسة النقدية الثقافية: "مسيرة من الأفكار المتواشجة والمتطورة حاول خلالها النقاد الثقافيون تقديم مقارنة نقدية للظواهر الثقافية تتسع عن انغلاقية النموذج البنيوي دون أن تتورط في قراءة تاريخية أيديولوجية للظواهر كما كانت تطرحها النظرية الماركسية"<sup>1</sup> ونظرا لتداخل مهمته وترابطها مع مجالات معرفية عديدة يحтар بعض الباحثين في تصنيفه، فبالنسبة لهم ليس مجالا وليس منهجا، وليس مذهباً كما ذهب لذلك صلاح قنصوه: "ليس منهجا بين مناهج أخرى أو مذهباً أو نظرية كما أنه ليس فرعاً أو مجالا متخصصاً من بين فروع المعرفة ومجالاتها"<sup>2</sup>. وهذا ما حاول أ.أيزابجر (Arthur Asa Berger) شرحه، فهو يراه: "نشاطاً وليس مجالاً معرفياً خاصاً بذاته... فهو مهمة متداخلة مترابطة متعددة، كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات مختلفة ويستخدمون أفكاراً ومفاهيم متنوعة وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد وأيضاً التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط والنقد الثقافي الشعبي وبمقدوره أيضاً أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والنظرية الاجتماعية والأنثروبولوجية ودراسات الاتصال وبحث في وسائل الإعلام والوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة وحتى غير المعاصرة"<sup>3</sup>

ومما سبق حول المفهوم والوظيفة يمكننا أن نعرفه كما عرفه سمير الخليل في دليله "فالنقد الثقافي في أبسط مفهوماته ليس بحثاً أو تنقيباً في الثقافة إنما هو بحث في أنساقها

<sup>1</sup> محمد إبراهيم السيد عبد العال، منهجية النقد الثقافي بين النظرية والتطبيق، مقال في مجلة فصول، ص 688.

<sup>2</sup> صلاح قنصوه، تمارين في النقد الثقافي، ط1، دار ميريت، القاهرة، مصر، 2007م، ص 5.

<sup>3</sup> آرثر أيزابجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية تر: وفاء إبراهيم رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص (30-31).

المضمرة وفي مشكلاتها المركبة والمعقدة وبذا فهو نشاط إنساني يحاول دراسة الممارسات الثقافية في أوجهها الاجتماعية والذاتية بل في تموضعاتها كافة<sup>1</sup>

وبذلك فإن النقد الثقافي قد استطاع أن يقارب بين العلوم الإنسانية المختلفة، ومما يحسب له أيضا قدرته على: "رفع الحواجز بين التخصصات والمستويات في الممارسات الإنسانية لأنها تنتمي جميعا إلى الثقافة التي هي مجمل صنيع الإنسان في البيئة الطبيعية، ومن ثم ينكر النقد الثقافي التفرقة التقليدية المألوفة بين القاعدة(البناء التحتي) والبناء الفوقي وكذلك التمييز بين الواقعي والايديولوجي أو بين المادي والروحي"<sup>2</sup> ومادام النقد قد قارب و استند إلى العلوم الأخرى فإن العمل به عمل منهجي كما أشار إلى ذلك الغدامي في كتابه: "ينطلق النقد الثقافي إذن من منطلق منهجي يستند في إنشائه إلى تحليل علمي للأنساق الاجتماعية الحاكمة وإنه ليكون بهذا المعنى نقدا ليس لسمة اخلاقية من خلال سمة اخلاقية أخرى تناقضها"<sup>3</sup> و يضيف إلى ذلك أنه "نقد عقلائي لأنه يعمل على كشف النماذج المسيطرة والأنساق المهيمنة التي تسوس المجتمع وتحكم طبقاته ومستوياته وفئاته المنتجة للخطاب والمستهلكة له على حد سواء"<sup>4</sup> وبالتالي فإن الأنساق المضمرة قد استطاعت النفاذ إلى عمق الوعي والشخصية الإنسانية وغرس نماذج سلوكية ثقافية معينة في كل أمة على حده. وهذه المظاهر السلوكية والتفكيرية تماما ما يحاول هذا النقد تفصيله والبحث عنه. وبالنظر إلى العلاقة التي تربط بين النقد الثقافي

<sup>1</sup> سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، ص305.

<sup>2</sup> صالح قنصوه، تمارين في النقد الثقافي، ص5.

<sup>3</sup> حسين السماهيجي، عبد الله الغدامي والممارسة النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص93.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص93.

والخطاب يرى صلاح قنصوة أنه أقرب ما يكون إلى البارالوجيزم الذي تطرق إليه ليوتار في كتابه " الوضع ما بعد الحداثي " كما ربط بين مفهوم النقد الثقافي والنقد عند كانط (Immanuel Kant) بصفته بيانا لحدود وإمكانيات العقل وفي حالة النقد الثقافي يختص ببيان إمكان النص باعتباره منتج العقل البشري الذي يحمل دلالة واضحة من حيث المنتج والمستقبل<sup>1</sup>

### 2- نشأة النقد الثقافي وتطوره عند الغرب :

يعد النقد الثقافي إحدى مخرجات ما بعد البنيوية ويحدد أغلب الدارسين بأن ظهوره على الساحة الأدبية كان في القرن الثامن عشر، ولكن بدايته الفعلية كمنهج مستقل عن غيره من أنواع النقد المختلفة السائدة في ذلك الوقت كانت في النصف الثاني من القرن العشرين وذلك على يد الأمريكي فنسنت ب ليتش (Vincent B Leitch) فقد كان يدعو إلى نقد ثقافي مابعد بنويوي<sup>2</sup>، وقد أشار إلى ذلك عبد الله الغدامي في كتابه فقال: " يطرح فنسنت ليتش مصطلح النقد الثقافي مسميا مشروعه النقدي بهذا الاسم تحديدا ويجعله رديفا لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية"<sup>3</sup> ومشروع ليتش المذكور هنا قائم بالأساس على تجاوز جماليات الخطاب الظاهرة والتركيز على ما وراءه من خطاب أو ظواهر تتحكم في الثقافة العامة، كما أن خصائصه مختلفة تماما عن المناهج السابقة فيرى أن الشكلانية قد عرقلت الدراسة الأدبية وذلك بالتقييد الذي كانت تفرضه على الناقد وعلى دارس الأدب فلم تكن تخرج عن إطار النص المحدد ولا تتجاوزه إلى ما هو دونه، أما هو فإنه في منهجه يستفيد من التأويل والدراسات التاريخية، وقد طور بعض مفاهيم ميشال فوكو (Michel Foucault)

<sup>1</sup> ينظر: صلاح قنصوة، النقد الثقافي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 63، شتاء وربيع 2004، ص 111.

<sup>2</sup> ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من تسعين تيارا او مصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص 306.

<sup>3</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 31.

عن أنظمة الحقيقة وركز على الوسائل الإجرائية التي تتيح التحليل الوظيفي ونقده، للخروج من حبال المؤسسة الأكاديمية التي كانت تضبط القراءة وتقيدتها. ويؤكد جمال حمداني بأنّ النقد الثقافي قد انتشر في الحقيقة بفضل مجلة النقد الثقافي التي صدرت في جامعة مينيسوتا كما تطور وانتشر مع الكتاب الذي أصدره فينسنت ب. ليتش (Leitch) سنة 1992 والمعنون بـ "النقد الثقافي نظرية الأدب لما بعد الحداثة" والباحث في ثنايا هذا الكتاب يجد بأنه قد "اهتم فيه بدراسة الخطاب في ضوء التاريخ والسوسيولوجيا والسياسة والمؤسساتية ومناهج النقد الأدبي"<sup>1</sup> وقد ساهمت في آراء ليتش الجهود المبذولة من النقاد البنيويين، كما عرض في كتابه أعمال مجموعة من النقاد منهم: فوكو؛ وإدوارد سعيد؛ وغيرهم، فلا يمكن الحديث عن النقد الثقافي دون إشارة إلى الأثر العميق الذي أحدثه فوكو بأرائه وبحثه في طبيعة العلاقة بين السلطة والطبقة المقهورة الخاضعة، فقد كان مهتماً بالثقافة في معناها الحقيقي بدراسته الشمولية لما يتعلق باليوميات و المذكرات، هذه الأعمال الرائدة التي خرجت من رق المؤسسة وفتحت آفاق القراءة والنقد.<sup>2</sup>

وهناك من النقاد من يعتبر تيودور أدورنو عضو مدرسة فرانكفورتاً أول من بلور المفهوم وقد أفرد في كتابه منشورات سنة 1951 م فصلاً بعنوان "النقد الثقافي والمجتمع" تناول فيه مقالته التي كتبها سنة 1949م وقد كان من الناقلين على الثقافة الجماهيرية فحاربها وحارب جعل النقد بورجوازيًا محضاً، وقد دفعه إلى هذا تسامح الحكومة الألمانية مع العنصرية والتآمر ضد الأقليات مع كونه يهودياً، وتشارك دلالاته للنقد الثقافي مع دلالة هابرماس زميله في مدرسة فرانكفورت في كتابه: **المحافظون الجدد: النقد الثقافي والحوار التاريخي**. فتشكلت معالم الدراسات الثقافية مع إنشاء مركز الدراسات الثقافية المعاصرة سنة 1964م بجامعة

<sup>1</sup> محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص10.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه ص(31-34) .

بيرمنغهام وبدأ يظهر بظراوة التمرد على الأفكار الشائعة والأنساق التي أقرتها الشكلائية والبنوية: "بل إن البنيوية نفسها تشقت بظهور ما يصطلح عليه البنيوية التكوينية وذلك قبل أن يتأزم أمر النسق المغلق ويتفجر عن جملة من ضروب التحليل النقدي والثقافي"<sup>1</sup> و ذكرَ النقد الثقافي أيضا بدلالة عامة في كتاب "بلاغيات الخطاب مقالات في النقد الثقافي" الصادر سنة 1978م، وتلاه عمل أكثر منهجية هو "كلاسيكيات النقد الثقافي" الصادر سنة 1990م.<sup>2</sup>

وتفاعلت الثقافات الفرنسية، والألمانية، والأوروبية عموما معه، وقد بذل الباحثون الأوروبيون جهودا كبيرة في بلورة هذا النوع من النقد والدعوة إليه فيرى جونثان كولر أن البنيوية الفرنسية متمثلة في شخص رولان بارت خصوصا قد ساهمت بشكل كبير في تبلور النقد الثقافي والتأصيل له فقد كان مهتما في كتابه "أساطير" بدراسة الأنشطة الثقافية بأشكالها المختلفة: "بداية بمصارعة المحترفين والإعلانات عن السيارات والمنظفات، وانتهاءً بالموضوعات الثقافية الأسطورية مثل النبيذ/ الخمر الفرنسي وعقل آينشتين"<sup>3</sup> كما تشير الدكتورة بشرى موسى صالح إلى أن: "النقاد الأوروبيين أكثر انغمارا من الأمريكيين ليس في تحليل أشكال الثقافة الشعبية فحسب بل في تحليل الذات البشرية كونها شكلا أو نتاجا للثقافة"<sup>4</sup> وذلك بارز في الأصوات الأوروبية التي صدحت عاليا بنقد بعض الأشكال الأدبية التي بدت فاسدة وتصدر لأفكار طبقية معينة وكان أغلبهم ماركسيا من قبيل أنتونيوغرامشي (Antonio Gramsci) الذي طور مفهوما مركزيا في الدراسات الثقافية وهو مفهوم الهيمنة

<sup>1</sup> عبد الله الغدامي والممارسة النقدية والثقافية، ص41.

<sup>2</sup> ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي ص307.

<sup>3</sup> جوناثان كولر، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، مدخل إلى النظريات الأدبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003، ص66.

<sup>4</sup> بشرى موسى صالح، بويطيقا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، وزارة الثقافة، بغداد، ط1، 2012م، ص22.

الذي ينتج عن الإيديولوجيات النابعة من النظام الطبقي السائد في المجتمع فدعا للتحرر وتطوير ثقافة البروليتاريا بالتوعية والثقافة السياسية الجديدة<sup>1</sup> وولتر بنيامين (walterbenjamin) الذي خالف أبناء عصره المؤيدين للروايات التقليدية والنايدين لكل حديث وشجع الأعمال الأدبية المستفيدة من التكنولوجيا كالسينما وغيرها، وذلك لأنه كان يتأمل فيها إحداث تعريف مغاير للثقافة واحتواء الفنون الأخرى واستيعابها، ولويس ألتوسير (Louis Althusser) الذي ركز على العلاقة بين الأيديولوجيا والأدب، وتظن لهيمنتها على الناس وتحكمها فيهم وبالتالي يمكن القول: إن النقد الثقافي قد ارتبط بالماركسية وأفكارها ارتباطا وثيقا في بداياته الأولى قبل لينتش، بل كما أشار بعض الباحثين: "إن الماركسية هي المهاد لأغلب أفكار النقد الثقافي وإن ظهور أو قيمة الدراسات الثقافية والنقد الثقافي يصعب فصلها عن تطور الفكر الماركسي"<sup>2</sup>. فكان عمل هؤلاء الباحثين منصبا على كسر الحواجز بين الأعمال الأدبية وبقية الأشكال الفنية الشعبية وذلك للتأثير العميق الديناميكي الذي يروونه بين الثقافة وبين مستهلكيها دون تعلق بنوع المنتج ودون تخصيصه على عكس ما كانت المناهج الأخرى تقوم به فكسرت ذلك القالب المهيمن والمستثني للشعبي: " وحرص النقاد الثقافيون إلى إذابة الحدود بين الأدب والأشكال الفنية الشعبية، والاهتمام بالعمل الثقافي وهي عبارة جين تويكنز المنجز المعين في لحظة تاريخية معينة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> رونان ماكدونالد، موت الناقد، تر: فخري صالح، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014م، ص137.

<sup>2</sup> بشرى موسى صالح، بوطيقا الثقافة، ص23.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 25.

3- النقد الثقافي عند العرب :

بداية يجدر بنا الذكر بأن النقد الثقافي كفكرة تعني دراسة الحضارة كما أشار **ميجان الرويلي** و**سعد البازعي** في مجالات النقد الأدبي والسياسة والاجتماع وغيرها مما له علاقة مباشرة بالثقافة ظهرت عند العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر مجسدة في العديد من المؤلفات التي حاولت سبر أغوار الثقافة العربية و تقويم ما بها من خلل، مرادفة لمفهوم النقد الحضاري ومن ذلك ما قام به **طه حسين** في كتابيه "الشعر الجاهلي" و"مستقبل الثقافة في مصر" وما نشره **العقاد** و**جماعة الديوان**، ومجهودات **أدونيس** في "الثابت والمتحول"، وكتابات المفكرين المعاصرين **كإدوارد سعيد** الذي فتح المجال للبحث عن العلاقات بين الغرب والمشرق العربي من خلال كتابه "الاستشراق" والذي حاول من خلاله تحليل الأعمال الأدبية في الأدب الروائي والمسرحي ورحلات الاستكشاف ودفعه إلى ذلك التفكير والتصور الاستعماري الطاغى في ذلك العصر على نصف الكرة الأرضية إن لم يكن عليها كلها، وبحث في العلاقات التي تجمع بين الغرب والمشرق العربي عن طريق معالجة دقيقة للروافد العربية والتحليل المكثف للفن الشرقي والعربي،<sup>1</sup> **محمد عابد الجابري**، و**هشام جعيط**، و**فهمي جدعان**، و**علي حرب**، و**محمود أمين**، و**دعوات شكري عياد**، و**منجزات عبد الوهاب المسيري**<sup>2</sup> و**نجيب محفوظ** في كتابه "تحديث، الثقافة العربية" الذي يعبر عن الوعي الكبير بالثقافة العربية وتحليلها تحليلًا عميقًا إضافة إلى أعماله النقدية التي تناولت النصوص العربية كما نجد ذلك في الجهود العظيمة التي قام بها **مالك بن نبي** محاولًا كشف مشكلات الحضارة الإسلامية و أسباب تصدعاتها مع محاولة إيجاد حلول عملية لذلك من

<sup>1</sup> صورية جعوب، مجلة كلية الآداب واللغات جامعة خنثلة مقال بعنوان : النقد الثقافي ، مفهومه، حدوده، وأهم رواده، العدد الأول، ص34.

<sup>2</sup> ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 309.

خلال مؤلفاته "مشكلات الحضارة وجهة العالم الإسلامي"، و "القضايا الكبرى" و"شروط النهضة" أما بالنظر إلى المصطلح من حيث معناه ما بعد البنيوي الذي أقره ليتش فيبدأ ذلك عن العرب حسب أغلب الدارسين مع عبد الله الغدامي في كتابه **النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية** فهو الرائد لهذا المجال، رغم أن حسن القاصد ينفي ذلك ويشير إلى أن الريادة للأعرجي وللدكتور علي الوردى، وقد هاجم الدكتور عبد الله الغدامي بسبب ذلك واتهمه بتهميشه وادعاء الريادة رغم أن الوردى قبله قد تطرق للأنساق من وجهة نظر نظرية ومنهجية، والغدامي بدوره يشير له إشارة لافتة في كتابه قائلاً: "سبق لعلي الوردى أن حدد القيم القبلية الشعرية بأربع خصائص...<sup>1</sup> وذكر تلك الخصائص مع نفي كونها حقيقة قبلية " ومن المهم هنا أن نشير إلى أن ما ذكره الوردى هو مستخلص شعري، وليس هو الحقيقة القبلية التي لا يصح أبداً أن تختزل في بضع مقولات لا تصف حالها الثقافية"<sup>2</sup> وهذا ما رآه القاصد ضرباً من التناقض والمغالطة في الكلام ورجوعاً عما تبناه أول الأمر، بل يرى بأن جهود الغدامي ليست إلا تعزيزاً لرأي الوردى وإحراقاً لها فهو في النهاية التلميذ الذي حاول الرد على معلمه وإنكار جهوده بمعلومات استقاها منه نفسه: "فبماذا اختلف الغدامي عن الوردى وما الجديد لديه سوى الاستعراض اللغوي والمناورة الثقافية، فهو عزز رأي الوردى بعد أن أظهر للقارئ أنه مختلف معه"<sup>3</sup> وحتى يرق في نقده للغدامي أضاف بأنه قد يكون غفل عن المقاصد التي أرادها علي الوردى، بهذا لم يعترف بأسبقيته، واكتفى بإشارته الخاطفة له أما محمد حسين الأعرجي فقد اشتغل على الناحيتين الفنية والاجتماعية في الكثير من محاضراته وكتبه فدرس مثلاً رثاء أبي حكيمة لمتاعه " ويرجح أن يكون المضمرة في خطابه هو : حاجته لأن يستوهبه الأمير جارية حسناء لعله يشفى ثم يذهب إلى أنه

<sup>1</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 101.

<sup>2</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 102.

<sup>3</sup> حسين القاصد، النقد الثقافي، التجليات للنشر والترجمة والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013م، ص11.

هذا لا ينفي التهمة التي لحقته وفي الحاليين فالشعر يضرر هوسه بالجنس سواء كان بالغلغان أو بالنساء<sup>1</sup> وبالتالي فإن رثاء المتاع لم يكن إلا محاولة للإفلات من التهمة و العقاب ونقلا لحالة الهوس إلى المادي المجرد، كما درس العلاقة بين الطاغية والأزمة الثقافية العربية "على حين نرى أن الحاكم العربي الآن لا يعرف لا نفسه ولا حدوده...فهو يعتقد أنه مثل القرآن الكريم في العصمة وهو يعتقد أيضا أنه شاعر وقاص وناقد وفيلسوف وتلك هي المأساة الكبرى"<sup>2</sup> كما أشار إلى علي جواد الطاهر باعتباره أيضا سابقا للغذامي وقد درس نسق السلطة عند الشاعر العربي الكبير أحمد شوقي، وحاول تفسير سبب اهتمام هذا الأخير بماضي مصر أكثر من حاضرها وفي التفسير نجد "علته أن شوقيا شاعر بلاط، لا يريد أن يغضب الملك ولا يستفز الشعب فإذا تحدث عن حاضر مصر حاول أن يرضي الاثنين معا، فلا يستطيع أن ينصرف كله إلى طرف ويهبه كل ذاته فيأتي شعره ضعيفا"<sup>3</sup> ولذلك ومحاولة منا لتفسير هذا التوجه الذي اعتمده نستطيع أن نقول بأن الهروب إلى الماضي هو المفر الوحيد لشوقي حتى لا يسخط عليه أي طرف من الأطراف وحتى لا يؤثر في بناء شعره "أما ماضي مصر فإنه يستطيع أن يرضي من خلاله كبرياء الشعب، وكبرياء البلاط، وأن يرضي نفسه أيضا"<sup>4</sup> وما نلاحظه عند حسين القاصد هو تعصبه إلى حد كبير للعراقيين (الوردي والمنتبي والجواهري والأعرجي) ومحاولة استغلال جميع الحجج التي تجعل لهم السبق في الدراسة الثقافية رغم إجماع أغلب الباحثين على أن الغذامي هو من سبق إليه منهجيا وأصل له. وقد لجأ إلى شخصنة النقد حول الغذامي في مواضع عديدة من كتابه محاولة منه لإثبات موقفه.

<sup>1</sup> حسين القاصد، النقد الثقافي، ص13.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص27.

<sup>3</sup> حسين القاصد، النقد الثقافي، ص 14 .

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص11.

ومن الأسماء التي كان لها صدى في النقد الثقافي عند العرب نجد: إدريس الخضراوي، وقد عمل هذا الأخير على جمع آراء النقد الثقافي عند كبار مؤسسيه و ذلك في كتابه "الأدب موضوعا للدراسات الثقافية" وتناول فيه بالدراسة الكثير من القضايا الأدبية المعقدة وجمع مواضيع تتعلق بالذات، الأنا، الهوية، المرأة، فكانت لغته النقدية فريدة ممهدة للدراسة الثقافية الجديدة وحاول الحديث عن الأنساق الثقافية وتشعباتها بمرجعياتها المتباينة<sup>1</sup>

كما نجد جابر عصفور الذي تناول العديد من القضايا النقدية المتعلقة بنظم المعرفة في الثقافة العربية والأدب العربي وذلك في المجلة الكويتية<sup>2</sup>.

وفيما يلي سنتطرق لتجارب أبرز رواد النقد الثقافي العرب ونبرز إسهامات كل شخصية في هذا الميدان.

### • تجربة النقد الثقافي عند عبد الله الغدامي :

رغم كل الشخصيات التي تم ذكرها إلا أن الكثير من الباحثين يجمعون على أن الغدامي هو المبشر لهذا النقد عربيا، فهو صاحب المحاولة الأولى والأشهر الموافقة لتصورات ليتش ما بعد البنيوية حول النقد الثقافي وذلك من خلال كتابه "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية" (2000م) ، ومحاولة الغدامي تمثل مسعى جادا لاستكشاف مشكلات عميقة في الثقافة العربية من خلال أدوات النقد الثقافي<sup>3</sup> فكان المؤصل للمصطلح تحت ما يسمى "ذاكرة المصطلح"<sup>4</sup> وحاول أن يغوص من دراسته للقضايا فيما وراء جمالياتها وأن ينبه بوعي حول ذلك التغيير الذي أحدثته في السلوك الإنساني وتلك الانحرافات في المجال

<sup>1</sup> سورية جغوب، النقد الثقافي، مفهومه، حدوده وأهم رواده، ص34.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص34.

<sup>3</sup> ميجان الرويلي ، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص309.

<sup>4</sup> ينظر: عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص11-53.

الديمقراطي فوقف عند هذه العيوب التي تسربت والتي كان النقد الأدبي باهتمامه الجمالي والبلاغي عاجزا عن كشفها باعتماده على النقد الثقافي كمنهج جديد، ويعرف الأنساق بأنها: "أنساق ثقافية تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما"<sup>1</sup> أي أن لها القدرة على النظر في استقبال المنتج العربي واستهلاكه وهذه هي الوظيفة الجوهرية للنقد الثقافي.

كما يثبتها الغدامي في كتابه " تأتي وظيفة النقد الثقافي من كونه نظرية في نقد المستهلك الثقافي"<sup>2</sup> وقد نقده كل من ميجان الرويلي وسعد البازعي في ثلاثة أمور أساسية أشارا إليها في كتابهما تتمثل أولا في التعميم بالاختصار على الأنساق السلبية؛ وثانيا في محدودية الأمثلة التي يستشهد بها وانحصارها في شعراء وشواهد معينة؛ وثالثا بغياب الاستشهاد بالتجارب الثقافية الغربية أو تجارب الحضارات الأخرى رغم اشتراك الأفعال الإنسانية ومخرجات الثقافة باشتراك العوامل المؤثرة في العصور المختلفة. وهذا مثبت تاريخيا فالكثير من الظواهر التي تعيشها حضارة ما بسبب انتشار عوامل معينة تكون حضارة أخرى قد عاشتها بسبب نفس العوامل والتغيرات الحضارية، اقتصاديا؛ وسياسيا؛ واجتماعيا؛ بل قد تكون الظاهرة سمة ثقافية كما عرفها الشرق عرفها الغرب كما نقد لعدم دقة أدلته التي ساقها حول أدونيس محاولة منه لإثبات شكلايته<sup>3</sup> وهنا وقع الغدامي في مغالطة حذر منها الباحثان وهي استغلال الأنساق لإثبات أفكار نريدها بغض النظر عن صحتها ودون محاولة لتحري الصدق في عرضها، حيث قالوا معلقين عن مشروع أدونيس: "ومشروعه الحدائوي مشروع يهدف إلى إحداث نقلة جذرية في الثقافة العربية، نقلة قد نتفق أو نختلف حولها ولكن لا ينبغي تهميشها أو عرضها عرضا مخلا لخدمة نسق يحاول إثبات صحته"<sup>4</sup>

1 عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 79.

2 المرجع نفسه، ص 81.

3 ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 310.

4 المرجع نفسه ، ص 311.

• تجربة نادر كاظم :

يشير في كتابه إلى أن النقد الثقافي كان ضرورة مرحلية دفع إليها قصر النقد الأدبي عن الإحاطة بالتحول الذي يعيشه الأدب ما لم يتغير مفهومه و أدواته وطرائقه : " النقد الثقافي تعبير عن تحول جذري يعيشه النقد اليوم وهو تعبير عن حاجة جديدة لا يستطيع النقد الأدبي تلبيتها إلا بنقلة جديدة في مفاهيم هذا النقد وأدواته وطرائق توظيفها في الغايات من وراء النقد أصلا "1 أي أنه ليس إلا صورة مستحدثة بعد فشل النقد الأدبي والدعوة التي ساقها الغدامي لموته "فهو محاولة للكشف عن الأصل غير البريء في النصوص والخطابات والممارسات والأشياء وإدراك أن ما هو مألوف وطبيعي ليس أكثر من تشييد تاريخي وثقافي وتطبيع تقوده الأجهزة المادية والإيديولوجية في المجتمع"2 أي أنه يعمل على كشف المضمرة الذي يفرض على المجتمع لأغراض مختلفة سياسية أو إيديولوجية .

• حفناوي بعلي:

اهتم الباحث الجزائري بالبحث في النقد الثقافي المقارن وقد أفرد له كتابا استهله بالتعريف بالنقد الثقافي فهو يرى بأنه : " نشاط وليس مجالا معرفيا قائما بذاته"3 مؤكدا على تداخل العلوم التي ينتمي إليها رواده وتنوعها و تداخلها في الكثير من الحالات للوصول إلى الأهداف المرجوة من تفكيك المضمرة و معرفة تأثيره " بمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد الثقافي الشعبي، وبمقدوره أيضا أن يفسر نظريات ومجالات علم العلامات، ونظرية التحليل النفسي، والنظرية الماركسية، والنظرية الاجتماعية والأنثروبولوجية"4 وهذه القدرة الواسعة على التحليل و الانفتاح الذي تعرفه الدراسات الثقافية كامن في تعدد مواضيعها واشتراك الغاية لذا نفى عنه كونه مجالا منفصلا عن المجالات

1 نادر كاظم، الهوية والسرد في النظرية والنقد الثقافي، دار فراسة للنشر والتوزيع، الكويت، ط2 ، 2016، ص9

2 المرجع نفسه، ص.11

3 حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007م، ص.11

4 المرجع نفسه، ص.11.

الأخرى فهو يحتوي كل ما له ارتباط بالأدب والثقافة كما يرى أن "الناقد الثقافي أو نقاد الثقافة يطبقون المفاهيم والنظريات المتنوعة في تراكيب وتباديل على الفنون الراقية والثقافة الشعبية"<sup>1</sup>

• عز الدين المناصرة:

اهتم عز الدين المناصرة بالنقد الثقافي في كتابه "النقد الثقافي منظور جدلي تفكيكي" وقد حدد وظيفته في الصفحات الأولى من كتابه فهو بالنسبة له " يقرأ الأنساق المكبوتة داخل الأدب القومي الواحد ويقرأ النصوص الثقافية القومية داخل القومية الواحدة"<sup>2</sup> ونلاحظ بأنه قد جعل الأنساق المشتركة مرتبطة بالقومية الواحدة لاشتراك الظروف والعوامل النفسية والاجتماعية وغيرها والتي تؤثر بدورها في الأعمال والإنتاج والسائد من ردّات الفعل والتلقي، كما أنه ربط في العنوان بين ثنائية (مقارن/ثقافي) نتيجة انحصار النشاط النقدي التقليدي وإن "مزج المناصرة بين (المقارن/ الثقافي) تحت مظلة مصطلح النقد هو محاولة لإعادة بناء دور النقد في الحياة الثقافية في ظل تحولات ثقافية واجتماعية، كونية جديدة."<sup>3</sup> فقد حاول بذلك نقد النسق المضمّر من خلال تكريس هذا العمل النقدي استناداً إلى جدليتي كل من هيغل وماركس وترسيخاً للتكامل بين النقد الأدبي والنقد الثقافي.

• يوسف عليّات :

ألف الباحث يوسف عليّات كتابه " جماليات التحليل الثقافي : الشعر الجاهلي أنموذجاً" وقد عمل فيه بالاستناد إلى نظريات ستيفن غرينبلات Stephen Greenblatt على مقارنة النصوص الشعرية الجاهلية وخاصة منها قصائد الشعراء الصعاليك كرائية عروة

<sup>1</sup> ، حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007م، ص.20

<sup>2</sup> عز الدين المناصرة، النقد الثقافي المقارن منظور جدلي تفكيكي، دار المجد للنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص.10

<sup>3</sup> العيد داز، التفكيك والنقد الثقافي عند عز الدين المناصرة، مجلة التعليمية، جامعة سيدي بلعباس، (المجلد12، العدد01) ماي 2022، ص 490.

بن الورد وتائية الشنفرى ويؤكد أن: "النص الشعري الجاهلي رواج متمنع يبوح حيناً ويضمر أحياناً أخرى"<sup>1</sup> لذا فقد حاول كشف المخبوء وراء أشعار هؤلاء الصعاليك ومحاولة إيجاد تفسير للمواضيع المطروقة من طرفهم وتأثيراتها في الوعي الجمعي مما جعله يخلص إلى أن القصيدتين تخفيان صراعاً بين النسق الثابت والنسق الثابت المتحول و "ترميزاً للحظة الصدامية بين جدليتين الفعل/الفاعل، ثقافة الفرد/ثقافة المجتمع"<sup>2</sup>. ففي قصيدة عروة على سبيل المثال لم تكن العاذلة بالنسبة له إلا صورة للقبيلة في قمعها للخروج اللاواعي عن القبيلة والأعراف وليس الزوج إلا صورة للصعلوك الذي رد على عدلها بالتعالي و القمع والثأر فانقلت من صورة المتلقي السلبي للشكوى إلى صورة الفاعل<sup>3</sup>

• عبد النبي اصطيف:

كتب عبد النبي اصطيف العديد من المقالات التي حاول من خلالها تبين ماهية النقد الثقافي، ومنها ما جاء في سلسلة حوارات القرن رداً على عبد الله الغدامي الذي أقر بموت النقد الأدبي، ويكون النقد الثقافي بديلاً منهجياً له بعد فشله في التعامل مع الإنتاج الحديث الذي تشهده النصوص الأدبية، فهو يرى بأن: "العلوم تتقاعد مثلما يتقاعد البشر"<sup>4</sup> فعارض اصطيف هذا وأكد أن هذا النوع من النقد ليس إلا نقداً أدبياً، وأصر على ذلك في نفس الكتاب "حوارات لقرن جديد" بمقاله "بل نقد أدبي" كما يعارض دعوات التخلي عن النقد الأدبي قائلاً: "هذا النقد الثقافي مع أهمية ما حققه من إنجازات لم يبلغ دور النقد الأدبي في المجتمعات الغربية وغير الغربية التي ازدهر فيها...والخلاصة أن لكل من النقد

<sup>1</sup> يوسف عليّات، جماليات التحليل الثقافي: الشعر الجاهلي أنموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص.53

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص.58

<sup>3</sup> عمر زرقاوي، النقد الثقافي بين عبد الله الغدامي ويوسف عليّات، مجلة فصول ص(138-141).

<sup>4</sup> عبد الله الغدامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، ص.11.

الأدبي والنقد الثقافي شأنًا يغنيه ولا يغني أحدهما عن الآخر" <sup>1</sup> فكل منهما يعمل على الأدب.

#### 4- روافد النقد الثقافي:

إن النظر إلى النقد الثقافي بالمفهوم الذي وضعه صلاح قنصوة بأنه: " ممارسة أو فاعلية تتوفر على درس كل ما تنتجه الثقافة من نصوص سواءً أكانت مادية أو فكرية" <sup>2</sup> يجعله يخرج من كونه مجالًا متخصصًا أو منهجًا أو نظرية بل ممارسة أو: " نشاطًا عامًا تدخل تحت مظلته ألوان مختلفة من الملاحظات والأفكار والنظريات" <sup>3</sup> فهو بالتالي يستمد ملاحظاته من مجموعة العلوم والنظريات المختلفة التي تدرس العمل الأدبي ومنها:

#### أ- اللسانيات:

لو انطلقنا من تعريف ابن جني للغة بأنها: مجموعة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم لوقفنا عند الرابط الذي أحدثه بين اللغة و الجماعة البشرية، فكل لغة تعبر عن ذهنيات، و أفكار، و مشاعر أهلها، و نظرا للمكانة التي تحتلها الثقافة في اللسانيات وضرورة دراسة اللغة باعتبارها حاملة للإرث المعرفي للناطق بها، و رمزا من رموز الهوية لأي مجتمع كان، فإنها أول مرتكز وحب الإشارة والتنويه إليه: " ومن ثمة يمكن اعتبار اللغة نسقا يجسد قيما وافترضاات إيديولوجية/ثقافية)، وتشكل الثقافة عنصرا مهما في اللسانيات لأن معظم نظريات التحليل الثقافي تسعى للكشف عن رمزية الثقافة داخل الخطاب" <sup>4</sup> فاللغة هي ذلك التجسيد للأفكار سواء كانت مسموعة أو مكتوبة ولا شيء أضمن للثقافة والمحمول الفكري بالاستمرار مثل اللغة ف: "هي التجسيد المادي للأيدولوجيا-

<sup>1</sup> عبد النبي اصطيف، ما النقد الثقافي؟ ولماذا؟، مجلة فصول، ص 18.

<sup>2</sup> صلاح قنصوه، تمارين في النقد الثقافي، ص 11.

<sup>3</sup> ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 306.

<sup>4</sup> جوناثان كولر: النظرية الأدبية تر:رشاد عبد القادر، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ط1، 2004، ص 70.

المقولات التي يجاز للمتحدثين أن يفكروا بها - وكذلك موقع مساءلتها ونقضها على حد سواء<sup>1</sup> فاللسان كوسيلة تواصل تربط بين الناس تعتبر أول متأثر بالتغيرات المجتمعية؛ لذا فإن تاريخ الأمة والثقافة من تاريخ لسانها وتحليل أي عمل أدبي دون مراعاة لغته وسياقاتها يخرجها عن معناها ووظيفته وغاياته، ولا يحقق الفهم الحقيقي له "فالأعمال الأدبية يتم تقييمها من أجل البنيات الخاصة للكلمات التي دفعها للتداول"<sup>2</sup> فهي حاملة لخطابات ومقاصد قد تكون ظاهرة و قد تكون متخفية المرامي بالتلميح والإلغاز والتضمين قد ينتبه لها السامع وقد لا ينتبه لذا وجب تحليلها أولاً.

#### ب- علم النفس:

يتكامل الأدب والتحليل النفسي بانتمائهما للعلوم الإنسانية فمركزهما الإنسان باعتبار الأدب إنتاجاً إنسانياً، والتحليل النفسي هو العلم الذي يتخذ من الإنسان مادة لدراسته، فيعمل على تحليل سلوكياته وسبر أغواره، ويهتم التحليل النفسي بالأدب باعتباره صورة تعبيرية، وتعريفية للنفس البشرية بآلامها وطموحاتها و أحزانها، وهي تعبير عن اللاشعور واللاوعي والرغبة المكبوتة التي تلح عليه وتتحكم في تصرفاته وسلوكياته الظاهرية: " العملية التواصلية تتعامل بصورة دائمة مع معطيات اللاوعي واللاشعور، وتتعلق مع مدلولاتها انطلاقاً مما تتيحه الأساليب البلاغية والصيغ الأسلوبية والنصية وتتعمق المبادرة الرمزية عند المتكلم لتتسجم مع السياق التداولي الذي يخضع البنية اللغوية لتتطابق مع بنية اللاوعي وفق نظام متكامل و متناغم"<sup>3</sup> فانقلبت الأفكار المخبوءة في اللغة عند التعبير وقد تخفى بالاستعارة والكنايات فيعبر الأديب عما يضمرة: " عن طريق لغة رمزية، تتمثل كدوال يمكن أن تشمل المادة الكلامية والأحلام والذكريات وكبت المشاعر، وحالات الصمت

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 74.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 82.

<sup>3</sup> عيلان عمر، في مناهج تحليل الخطاب السردية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، د.ط، د.ت، ص 149.

والتداعي الحر وعلينا بفك شيفرتها ضمن عملية سيميائية نوول من خلالها الخطاب اللساني والرمزي للاوعي"<sup>1</sup> وظهرت العديد من الجهود من بينها جهود سيغموند فرويد (Sigmund Freud) وكارل يونغ (Carl Jung)، ومجهودات كارل مورون ( Charles Mauron ) النقدية للوصول إلى الأسطورة الشخصية فهو يعتبر العمل الأدبي " صدى للبنية النفسية للاوعي المؤلف، وللسيرورة الاجتماعية التاريخية، عبر وسيط أساسي هو اللغة.<sup>2</sup> وجاك لاكان (Jacque Lacan) الذي استفاد من اللسانيات البنيوية ومجهودات جاكوبسون (Roman Jakobson) فأسس للاشعور اللغوي واللسانيات النفسية فباللغة تتحدد الأنا وتتحدد هوية الآخر ويفضح اللاشعور فيصبح التحليل وفهم الثقافة المؤثرة أسهل وأبسط بمعرفتها .

### ج- الماركسية :

سبق وأن أشرنا إلى أن المبادئ الماركسية هي المهاد النظري الأولي الذي أدى إلى نشأة النقد الثقافي وأن أغلب المؤسسين للمنهج والداعين إليه كانوا ماركسيي التوجه، والماركسية أو الشيوعية كما كانت تعرف نظرية وضعها الفيلسوف الألماني كارل ماركس (karl Marx) بمساهمة فريدريك إنجلز (Friedrich Engels)منتصف القرن التاسع عشر .

وتعتبر النظرية بالأساس نظرية اقتصادية تقوم على القناعة التالية : "الأفراد في المجتمع الإنساني يدخلون في علاقات إنتاجية"<sup>3</sup> وبهذه العلاقات تتشكل البنية الاقتصادية العامة للمجتمع، كما تطورت هذه النظرية من الاقتصاد للأدب فيرى ماركس وإنجلز أن الأدب " خاضع للقوى الاقتصادية والأيدولوجية وليس لأي قيم فنية جوهرية بالإضافة إلى الهيمنة

<sup>1</sup> ، عيلان عمر، في مناهج تحليل الخطاب السردية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، د.ط، د.ت، ص154.

<sup>2</sup> مونسي حبيب، الحداثة والقراءة مقارنة الكائن والممكن في القراءة العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2000، ص85.

<sup>3</sup> ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص 323.

التي تفرضها الحركة الأفقية التصاعدية للتاريخ والتي بمقتضاها يتحرك تاريخ الفن من البدائي إلى المتطور إلى المعقد<sup>1</sup> في العصور الماضية انتشرت الملاحم وتطورت الفنون تباعا وصولا إلى الأدب المعاصر ومن المدارس الماركسية التي ساهمت في ظهور النقد الثقافي نجد مدرسة فرانكفورت للنقد The frankfurt School Criticism ويشترط ماركس في الأديب أن يعبر عن الحاضر بعقلية الحاضر مراعاة للتقدم الزمني وإيماننا بحتميته، فأراد الماركسيون إزالة تلك الهيمنة التي فرضت على الطبقة الكادحة في جميع المجالات خاصة في الأدب فلم يكن ينظر لأعمالهم وكان يطالها التهميش واعتبروا هم المركز والمحرك للحياة الاقتصادية<sup>2</sup>.

#### د- علم الاجتماع:

يعد هذا العلم أساسيا للنهوض بالنقد الثقافي فهو كممارسة نقدية لا يختص بالفرد المنعزل بل بالفرد الذي جعلت الاجتماعية خاصية مميزة له، وقد ظهر الربط بين الثقافة وعلم الاجتماع مع جهود العلماء أمثال برولينساو مالمينوفسكي (Bronislaw Malinowski) من خلال نظريته القائلة بالحتمية البيولوجية فهو يرى: " أن كل ثقافة يجب أن تتبع الخواص البيولوجية للإنسان كالتغذية والتناسل"<sup>3</sup> والاستقرار الناجم من إشباع هذه الحاجات البيولوجية هو الذي يدفع به إلى الإبداع، ويرى ليفي شتراوش (Claude Lévi-Strauss) في المقابل: " أن الثقافة هي أساس كل التنظيم الاجتماعي"<sup>4</sup> مما ينجم عنه اختلاف الثقافة البدوية عن الثقافة المدنية المتحضرة، أما بيير بورديو (Pierre Bordieu) فقد اهتم

<sup>1</sup> ، ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص324.

<sup>2</sup> ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص325.

<sup>3</sup> ألفة أحمد الماجري، سوسيولوجيا الثقافة انطلاقا من الاتجاهات الثلاثة (برونيسلاو مالمينوفسكي ، كلود ليفي شتراوش،

بيير بورديو)، مجلة مستقبل العلوم الاجتماعية، العدد الثامن، يناير 2022، ص8.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص10.

بدراسة الهابيتوس والحقل الاجتماعي وإعادة انتاج الرأسمال الثقافي فتوصل إلى أن: "الثقافة تؤثر في المجتمع وتتأثر به فهي مُحدّدة ومُحدّدة بمعنى أنها تحدد سلوك البشر، ويعمل الفرد على تحديدها وتطويرها"<sup>1</sup> وهذه الدراسات لتحليل المجتمع بالإضافة لمفاهيم كارل ماركس مما يستمدده النقد الثقافي لإثبات نظرياته وتعميقها.

### هـ - السيميولوجيا :

يخلق الإنسان عموما والأديب والمبدع خصوصا علامات التي تعبر عن تصورات وفكره، لذا فإن النقد الثقافي يتطلب تفكيكا للمدلولات والعلامات بالارتكاز على السيميولوجيا التي تعينه وذلك ب: "إزاحتها للحدود الفاصلة بين لغة الفنون الشعبية والرقيقة سواء أكانت لغة مرئية، أم مكتوبة فالاهتمام الرئيسي ينصب في القدرة على فك شفرة النص حتى يتجلى باطنه"<sup>2</sup> ويلتقيان في سيميولوجيا الثقافة التي تدرس المواضيع الثقافية كمواضيع تواصلية أو ب: "وصفها إشارات أو علامات حاملة لفكر ما لاسيما إذا تأملنا دورها المزدوج، فهي من جهة تعيد إنتاج العلامات الموجودة في الأنساق الثقافية وتؤمن لها سياقات جديدة مغايرة بما يجعلها قابلة للتداول ومن جهة ثانية تعمل على منح العلامات صفة الديمومة والبقاء"<sup>3</sup> وهذه الدراسة للعلامات ضرورة نابعة من كون علامات الإنسان معقدة ومتغيرة فرضها المجتمع والتغير الكوني السائد بدءًا بالوضع والاصطلاح الذي اتفق عليه بنو البشر للدوال وصولا إلى الترميز الذي طال هذه الدوال فغير مدلولاتها .

<sup>1</sup> ، ألفة أحمد الماجري، سوسيولوجيا الثقافة انطلاقا من الاتجاهات الثلاثة (برونيسلاو مالينوفسكي، كلود ليفي شتراوس، بيار بورديو)، مجلة مستقبل العلوم الاجتماعية، العدد الثامن، يناير 2022، ص 14.

<sup>2</sup> رامان سلدن، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي من الشكلائية إلى ما بعد البنيوية، تر: ماري تريبز عبد المسيح وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، العدد 1045، ج 8، 2006، ص 9.

<sup>3</sup> عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 136.

# الفصل الثاني:

تمظهرات الأنساق الثقافية في رواية مدن المرجان لزهرة

كشاوي

المبحث الأول: تمظهرات الأنساق الثقافية المضمرة في العتبات.

المبحث الثاني: تمظهرات الأنساق الثقافية المضمرة في المتن.

## تمهيد

استجابة لدعوة الغدامي بتسليط الضوء على المحمول الثقافي الذي تضمه الأعمال الأدبية والمغيبية بدورها في مناهج النقد الأدبي نحاول في هذا الشقّ التطبيقي السير على خطاه رغم أن القارئ لكتابه يرى بأنه قد عمد إلى التطبيق على الشعر، ولكن الرواية التي بين أيدينا للكاتبة زهرة كشاوي تستجيب لموضوع هذا النقد بما تحمله من رسائل ضمنية عديدة ضاربة في عمق التاريخ تعبر عن النظرة الفرنسية للجزائريين وللعثمانيين وترجم النزعة الاستعمارية التي كانوا يحملونها على لسان الجاسوس الذي وثق الأحداث في المخطوطات مع بعد الحقبة الزمنية التي سلطت عليها الضوء، ونظرا لتنوع الأنساق والمضمرات الثقافية التي تحملها رواية مدن وارتباطها، فكل نسق يحيل ويساهم في تشكل نسق آخر مختلف يؤثر في تشكيل المضمرات الثقافية، لذا فإن هذا المنهج هو الأنسب لفهمها فهما عميقا وإدراك غاياتها ودوافعها منها.

## المبحث الأول: الأنساق المضمرة في العتبات.

لا يمكن للقارئ الولوج إلى النص دون امتلاك مفاتيحه والإبداع في استعمالها وأبرز هذه المفاتيح "العتبات النصية" فبدونها لن نستطيع الولوج بل لن نستطيع تحليل العمل كما ينبغي فهي أول ما يلفت القارئ وأول ما تعترضه العين وتلتفت إليه و آخر ما تتساه الذاكرة بدءًا بجاذبية اللون وسحره، مرورًا بالعنوان وسلطته والغلاف وجودته، وصولًا إلى المؤلف وما يبعثه في القارئ من فضول لسيرته، و تعرف هذه العتبات بالنصوص الموازية وبها يمكن أن نترجم للقاء الأول الذي جمعنا بالنص، فمنها المبتدأ وإليها المنتهى بعد القراءة .

وقد ركزت عليها الدراسات النقدية الحديثة لما تحمله من أهمية وخصصت لها مواضيع بحثية منفردة لما تتيحه من فك لشفيرات النص وسبر لأغواره فهي تعطي الانطباع الأول والصورة الأولى التي يتسلح بها القارئ قبل الانغماس في القراءة ومنها ينطلق التأويل

والتحليل، ورغم اندراجها ضمن التحليل السيميائي إلا أن تجاوزها في دراستنا الثقافية هذه سيحرمنا من الكثير وكما يقول سعيد يقطين في مقدمة كتاب عبد الحق بلعابد مستشهدا بالمثل المغربي: "أخبار الدار على باب الدار يقول المثل المغربي، ولا يمكن للباب أن يكون بدون عتبة، تسلمنا العتبة إلى البيت لأنه بدون اجتيازها لا يمكننا دخول البيت"<sup>1</sup> وفي هذا القول تلخيص لكل ما يمكن أن يقال عن أهميتها ودورها الكبير في التحليل والفهم.

### 1- عتبة الغلاف:

يعتبر الغلاف أول ما تقع عليه عين القارئ ويعرفه حميد الحميداني بأنه: "الحيز الذي تشغله الكتابة بوصفها أحرفا طباعية على مساحة الورق، ويشتمل طريقة تصميم معينة، ومن خلاله يعبر السيميائي إلى أغوار النص الرمزي والدلالي"<sup>2</sup>

وإن أول تفاعل نفسي يحدث عند القارئ يكون مع لون غلاف الرواية فهو عنصر أساسي له دلالة وجمالية خاصة ونفاذ للمخيلة الفردية وتحريك للخواطر الإنسانية ففيه تجسيم للمشاعر وإحياء لها، وهذا ما يجعل الناشر مطالبا بتسخير خبراء لهم إدراك لماهية الألوان ودلالاتها وتأثيراتها بعد وعي بمضمون الرواية وأغراضها المعرفية والدلالية والرمزية.

جاء كل من الغلافين الأمامي والخلفي لرواية مدن المرجان باللون الأصفر وهو من الألوان التي تحمل دلالات خلفية فيكون بمعنى السرور والنضرة ويكون بمعنى معاكس كما سنرى، وتتضح في الواجهة الأمامية خريطة شمال إفريقيا مع التركيز على إظهار حدود البلدان وتسميات الجزر والمدن باللون البني، كما تظهر في الواجهة سفن ثلاث مختلفة الشكلراسية

<sup>1</sup> عبد الحق بلعابد، جبرار جينيت من النص إلى المناص، من النص إلى المناص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص13

<sup>2</sup> حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1993، دط، ص111.

في البحر الأبيض المتوسط، وبوصلة على الحدود الإسبانية، دلالة على أن المصمم قد حاول إبراز تاريخية الرواية ليسهل على القارئ الذي يراها وينتابه الفضول معرفة نوعها، كما نرى في الحافة السفلية للغلاف الأمامي امتداداً لفروع المرجان الأحمر.

ويعرف المرجان على أنه "جنس حيوانات بحرية ثابتة من طائفة المرجانيات لها هيكل وكلس أحمر يعد من الأحجار الكريمة"<sup>1</sup> وقد ورد ذكره مرتين في التنزيل العزيز في سورة الرحمان قال تعالى يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ الرحمن ﴿٥٨﴾ وقال أيضاً: "كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ" ﴿٥٨﴾ الرحمن ﴿٥٨﴾ ويعني به العرب أيضاً: "اللؤلؤ الصغار ونحوه... والمرجان: البُسْد وهو الجوهر الأحمر"<sup>2</sup>. و يستشهدون على ذلك بأبيات لامرئ القيس بن حجر قال فيها:

أذودُ القوافي عني ذياباً      ذيابَ غلامٍ جريءٍ جواداً

فأعزلُ مرجانها جانباً      وأخذُ من درّها المُستجَاداً

والمرجان في هذه الأبيات التي استشهد بها الجوهري حسب سياق وروده يعني اللؤلؤ الصغير وذلك ما ورد في معجم الألوان.

ونرى بأن العنوان "مدن المرجان" قد توسط الغلاف وكتب باللون الأبيض تعلوه أيقونة حمراء كتب عليها كلمة "رواية" مؤشراً جنسياً لتمييز الجنس الأدبي للمؤلف، وأسفله إطار باللون الأصفر أفتح درجة من لون الغلاف كتب عليه "رحلة إلى مرسى الخرز القديم" بحجم خط أصغر وبلون أسود بارز، واحتل أعلى الصفحة اسم الكاتبة بلون أسود أما في الأسفل فنجد العلامة الإشهارية لدار النشر "ميم" بلون أبيض، أما الواجهة الخلفية للرواية فجاءت بلون أصفر أيضاً دون خريطة بل نجد على حافتها اليمنى صورة للكاتبة ترتدي الأسود والأحمر

<sup>1</sup> مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 861.

<sup>2</sup> قاموس الألوان عند العرب، ص 234

بخلفية خشبية بنية تميل للسواد وألوان لباسها تتجانس مع ألوان الكتابة في هذه الواجهة فاسم الرواية كتب بالأحمر والمؤشر الجنسي بالأسود وأسفلهما فقرة مقتبسة من الصفحات الأولى للرواية عند مقتل القنصل والهجوم الذي شهدته الحامية، وفيها مناجاة لنابليون بعد الشعور بقرب الأجل والخوف من اختراق الحامية وسلب المرجان المسروق "أيها العظيم نابليون، أتراني هالك اليوم؟ هكذا سألت نفسي أواخر يوليو حيث كنت أنا وزوجتي جيزيلا وصديقي القديم ديبغو مع زهاء ثلاثمائة فرنسي، تجار، جنود، مشاة، خيالة، رهبان، مترجمون، ملاحون، صيادو مرجان، كورسيكيون ومارسيليون.

هرع الجنود الأشداء لإغلاق بوابات الحامية التي ستتحول إلى سجن كبير، دفعت المزاليج في الأبواب وأنزلت الأولوية مجددا ارتفعت صيحات الصيادين العائدين بقواربهم الخاوية -الحرب، الحرب...-

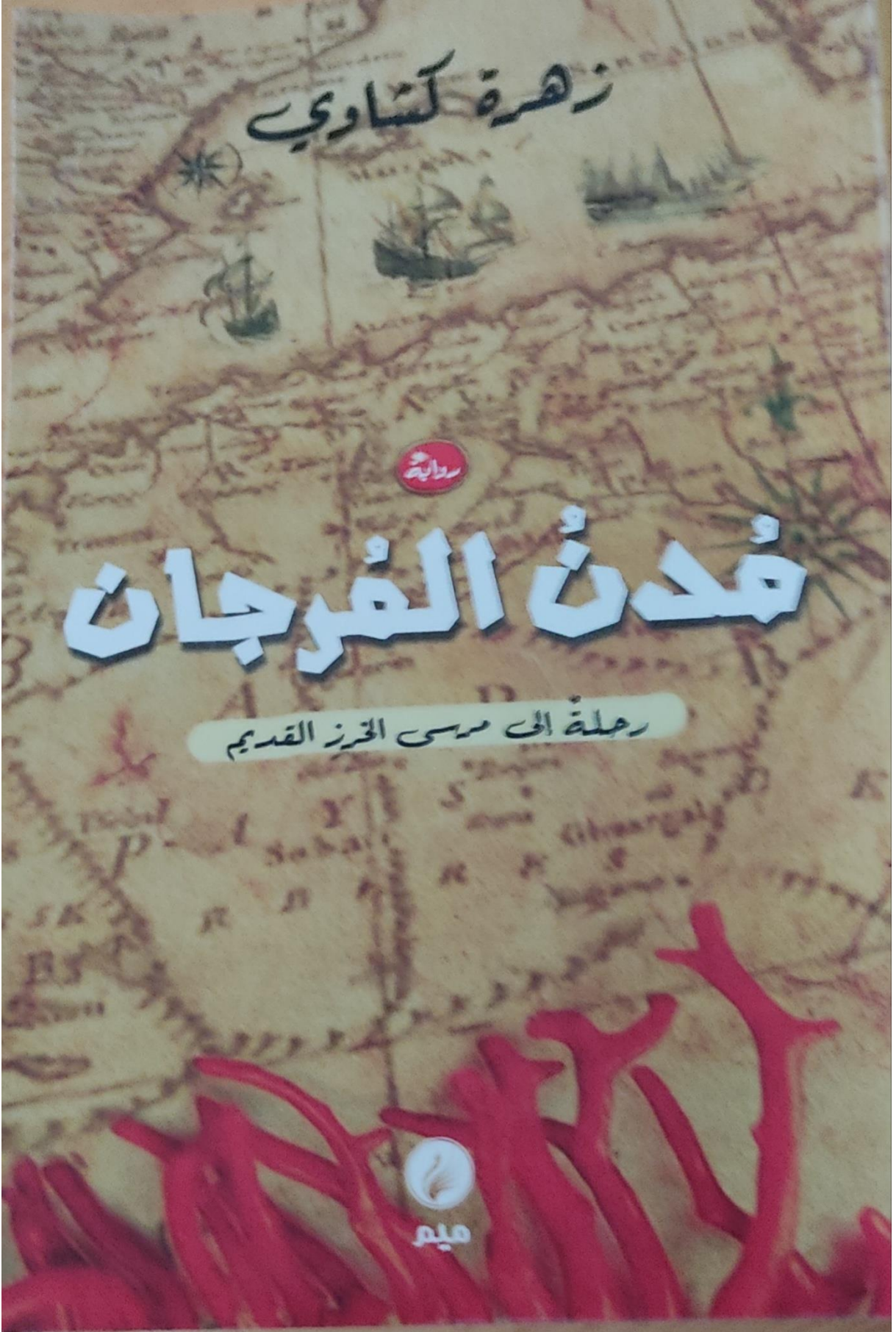
ارتفع صوت دوي قذائف بعيدة، تقياً أحدهم من شدة الهلع، بينما ابتلع البحر قواربهم المنفلتة

-كيف سنخفي قنطارا وستين رطلا من المرجان .

- سيحجزونها كما حجزوا البريد".<sup>1</sup>

وأسفل هذا الاقتباس على اليمين نجد الشفرة الخطوطية يليها الرمز الإشهاري لدار النشر بالأسود، وعلى اليسار اسم الدار بالعربية والفرنسية والمعلومات الإلكترونية لدار النشر عموديا بدءاً برابط الموقع على الشبكة، ثم إيمائهم المهني ويليه رقم الهاتف الخاص بهم بالترتيب، وتكرر في هذه الواجهة نفس الألوان التي نجدها في الواجهة الأمامية (الأبيض والأصفر والأحمر و الأسود).

<sup>1</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2023، ص9-10



الصورة رقم (1): واجهة الغلاف الأمامي لرواية مدن المرجان.

رواية  
**مدن المرجان**

أيها العظيم نابليون، أتراني هالك اليوم؟ هكذا سألت نفسي أواخر يوليو، حيث كنتُ أنا وزوجتي جيزيلا وصديقي القديم ديبغو مع زهاء ثلاثمائة فرنسيّ. تجارّ، جنودّ، مشاة، خيالة، رهبان، مترجمون، ملاحون، صيادو مرجانٍ كورسيكيّون ومارسيليّون.

هرع الجنود الأشداء لإغلاق بوابات الحامية التي ستتحوّل إلى سجن كبير. دُفعت المزاليج في الأبواب وأنزلت الألوية. مجدداً ارتفعت صيحات الصيادين العائدين بقواربهم الخاوية:

- الحرب، الحرب...

ارتفع صوت دويّ قذائف بعيدة، تقياً أحدهم من شدة الهلع، بينما ابتلع البحر قواربهم المنفلتة.

- كيف سنخفي قنطاراً وستين رطلاً من المرجان؟

- سيحجزونها كما حجزوا البريد!



زهرة كشاوي

ميم للنشر Mim Edition  
www.mimediton.com  
edition.mim2014@gmail.com  
213656043784+



الصورة (2): الواجهة الخلفية لرواية مدن المرجان.

## 2- عتبة اللون:

يتطلب اختيار اللون في العصر الحالي دقة شديدة من قبل المصمم، وذلك نظرا للدراسات النفسية والاجتماعية المرتبطة به وتأثيره العميق في نفسية العميل القارئ، والتسويق الحالي يركز على هذه الجوانب الظاهرية بشكل كبير جدا خاصة أنها أول ما يلحظ؛ وبالتالي أول ما ينفد، لذا لا يجب على اللون أن يكون بعيدا عن الدلالات التي يحاول الكاتب نقلها للقارئ بصورة أولية بل معبرا عنها، ولهذا الاعتبار يتم الاستعانة في أغلب الحالات بمتخصصين للتصميم ليستطيعوا تحويل المشاعر والآثار النفسية المرجوة إلى صورتها الحسية اللونية وهذا من الأمور المعقدة فإن: "استخدام الألوان في السياقات الأدبية واللغوية أكثر صعوبة من استخدامه في الرسم والتصوير، لأنه يعتمد على قدرة المبدع في إثارة ما توحى به الألوان من دلالات في نفس السامع من خلال التشكيل اللغوي الذي يصور أفكار الأديب و انفعالاته"<sup>1</sup> وفي هذه الرواية ركز الناشر على لونين رئيسيين:

### اللون الأصفر:

وهو اللون الذي يغطي واجهتي الغلاف وهو البارز على ظاهر الرواية، يعتبر هذا اللون من الألوان التي تحمل دلالات مختلفة وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بما يحمله من تناقض حسب السياق الذي يرد فيه، فجاء بمعنى الجمال والمسرة في قوله تعالى: "قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ" (البقرة:69)، فالصفر هنا جاء بمعنى إيجابي يحمل دلالة البهاء والحيوية وعبرة "تسر الناظرين" تدل على الانشراح الذي يراود القلب عند النظر إليها، وفي آية أخرى قال تعالى: "وَلْتُنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ" [الروم:51] وفي هذه الآية يحمل معنى سلبيا مختلفا عن المعنى الأول وهو يدل على تغير الحال إلى الأسوأ ومادام متعلقا

<sup>1</sup> ابتسام مرهون، جماليات التشكيل اللوني في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، ط1، 2010، ص66.

بالنبات فهو يعني يباسه وشحوبه، و عقاب الله سبحانه وتعالى لهؤلاء القوم الكافرين بسلب خيراتهم، فهو إنذار وإعلان على العقاب واقترب الزوال والهلاك، وإن رجعنا إلى الرواية فلا يمكن أن يتبادر إلى أذهاننا المعنى الإيجابي للون خاصة مع ارتباطه بصورة المرجان ففي تلك الحقبة الزمنية كان المرجان يسلب من الأراضي الجزائرية التي كانت تابعة للدولة العثمانية، بفضل الامتيازات التي منحها لهم السلطان لذا فالصفار علامة الشؤم والتدهور" ودلالاته مستمدة من الثقافة الشعبية عندنا فنقول: "ضحكة صفراء، ونعني بها الضحكة التي يضمربها الحقد أو الحزن" ويعبر بـ "أصفر الوجه" عن المريض الشاحب بالنظر لهذه الدلالة كانت الشحوبية بسبب نهب خيرات الوطن من الأجنبي وهذا هو المعنى الذي يضمربه الصفار على الغلاف.

### اللون الأحمر:

ظهر اللون الأحمر في الواجهة الأمامية لون المرجان وهو لونه الطبيعي كما ظهر في كتابة الواجهة الخلفية، وهو من الألوان الملفتة التي تجذب الرائي، ويحمل العديد من الدلالات النفسية والاجتماعية فهو لون الدم المراق المستباح ولون مرتبط بالخطيئة الأولى للبشرية بقتل ابن آدم قابيل لأخيه هابيل ويرتبط في الحروب بدم الأبرياء المسفوح، كما ربطه شوقي بدلالة مضادة لما سبق بقوله:

بكلِّ يدٍ مضرجةٍ تَدُقُّ

وللحرية الحمراء بابٌ

وفي هذه الرواية بتعلقه بالمرجان يحمل دلالة النفاسة والعراقة بالنظر لكون المرجان نوعا من الجواهر الثمينة غالية الثمن والتي كانت مستهدفة من طرف التجار وأصحاب النفوذ رغبة الاستثمار بها وكسب الأرباح، وبالربط بين الدلالة هذه والدلالة الأولى فإن هذه الجواهر النفيسة أصبحت مستباحة من قبل الأعداء فصار المرجان الجزائري بذلك رمزا وشاهدا على الخراب الاستعماري وعلى السرقة والسلب اللذان تعرضت لهما الجزائر العثمانية.

### اللون الأبيض:

وهو لون السلام والاستسلام يحمل دلالة الحيادية والنقاء ويرتبط بالمعاني الفاضلة وبالإسقاط على رموز الغلاف نجد أن الرمز الإشهاري قد لون بالأبيض عزلا له عن الرواية ومضمونها فصبغ بصبغة الحياد، أما الرمز الثاني وهو العنوان مدن المرجان فكتب بالأبيض لأن المدن لا تستطيع التأثير ولا سبيل لها لفك قيودها بنفسها فهي مستسلمة للطاغية لا تطيق حراكا ولا تحررا وتلك سنة الله على الجماد فكما قال الداخل مخاطبا النخلة التي غرسها في الرصافة:

تَبْكِي وَهَلْ تَبْكِي مَكْمَمَةً

عَجْمَاءُ لَمْ تُجِبْ عَلَيَّ جَبَلِي

لَوْ أَنَّهَا عَقَلَتْ إِذْ لَبَكَّتْ

مَاءَ الْفُرَاتِ وَمَنْبَتِ النَّخْلِ

وانطلاقا من هذا التصوير الذي نقله عبد الرحمان الداخل بدقة بإسقاط صفات العجز وعدم القدرة على دفع الأذى رغم التغرب والنأي المفروض، تكون المدن التي نهبت وسلبت خيراتها في الجزائر (القالبة، عنابة، القل، بجاية، جيجل) كنخلة عبد الرحمان لا قدرة لها على الانتفاض ورفع الأذى عن نفسها رغم ما تقاسيه فهي المستسلمة التي لا تملك إلا الاستسلام لذا لا لون يعبر عنها وعن عجزها إلا البياض الناصع.

### اللون الأسود:

يعبر السواد عن الحزن فهو لون الحداد، ويعبر عن التشاؤم والنحس لارتباطه في الثقافة الشعبية بالغربان وحتى في المعنى القرآني ارتبط بالعذاب والسخط، ولكن هذا النسق حمل دلالة مغايرة في الثقافة العربية بعد قصيدة الدارمي ترويجا للخمر السود، فأصبح لونا للإغراء، و لونا يعبر عن الأناقة والرقي وكما أنه أصبح لونا خاصا بالبدلات الرسمية، وقد كتب به اسم الكاتبة أعلى الواجهة الأمامية وكأنه إبراز لاسمها وترويج له كما فعل الدارمي من قبل، وإنباء بأن هذا الاسم سيشتهر ويبلغ الآفاق وفعلا لاقت الرواية رواجاً وكتبت عنها العديد من المنشورات وتصدر اسم الكاتبة الشابة قائمة الاقتراحات لهذا الموسم.

أما في استخدامه لكتابة العنوان الفرعي فيحمل دلالة الحزن والأسى ففي الرحلة إلى مرسى الخرز القديم نفض لغبار التاريخ وولوج إلى سراديب الذاكرة " المرسى القديم " لا بالمعنى المشرق للفظه القديم بل بمعناها المثير للشجن و الناقم على الغزاة والمخربين.

### 3- عتبة العنوان:

يعرفه دوشيأنه: "رسالة سننية في حالة تسويق، ينتج عن التقاء ملفوظ روائي بملفوظ إشهاري، وفيه أساسا تقاطع الأدبية والاجتماعية إنه يتكلم/ يحكي الأثر الأدبي في عبارات الخطاب الاجتماعي،"<sup>1</sup> وكما أن للإنسان اسما يحدد هويتها الذاتية ويفرقه عن غيره فيكون له سمة ومميزا فإن للكتاب عنوانا ويعتبر: "العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف وبفضله يتداول، يشار به إليه، ويدل به عليه"<sup>2</sup> فالقارئ يعرف الرواية بعنوانها ويتحدث عنها باستنكاره ، وقد عنونت روايتنا هذه ب"مدن المرجان" وبالنظر للتركيب النحوي للعنوان نجده مبتدأ معرفا بالإضافة خبره محذوف، ودلاليا فإن الخبر المحذوف قابل للتأويل وكأن الكاتبة بدأت بممارسة التشويق من العنوان ليعرف القارئ التأويل الأصح للخبر فبم سنخبر عن هذه المدن؟ لن يتأتى لنا الجواب إلا بقراءة الرواية وفهمها جيدا وإدراك مراميها، فالمدن التي تريد الكاتبة الحديث عنها منتهكة ومسلوبة من قبل الأوروبيين الذين جاؤوا طامعين في خيراتها راغبين في نيل الأرباح ما استطاعوا لذلك سبيلا. وأقاموا فيها الحاميات وجندوا الحرس وخبؤوا المتاع والرسائل للجوسسة فكانوا يعيثون فيها فسادا ويتخذونها مركزا لعملياتهم السرية بالتهب والسطو والسرقه وتزوير الوثائق وكانت مركزا أيضا يتيح لهم الاطلاع على أخبار البلاد تحضيرا لغزوها والاستيلاء عليها ككتلة واحدة.

<sup>1</sup> عبد الحق بلعابد، عتبات جيران جنينيت، من النص إلى المناص، 2008، ص68.

<sup>2</sup> محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1998، ص15.

أرفق عنواننا العام بعنوان فرعي: "رحلة إلى مرسى الخرز القديم" والرحلة تتطلب إعداد المتاع وتهئية النفس فيه حث للقارئ للتركيز وإعمال العقل حتى تحدث له المتعة المرجوة خاصة بكون الرحلة حسية تعود به إلى الماضي السحيق ليتجول في مدن المرجان وبالتحديد إلى القالة التي كانت تحوي مرسى الخرز فالعنوان الرئيسي كان عاما والعنوان الفرعي حدده بمدينة دون هذه المدن هي القالة.

#### 4- عتبة المؤلف:

لا يقل المؤلف أهمية عما سبقه من عتبات يقول عبد الفتاح كيليطو: "إن المادة اللغوية، كما هو معلوم، في متناول الجميع، ولكن، قليلون هم أولئك الذين يتمتعون بالقدرة على تحويل المعدن إلى نقود، وضرب السكة التي تصلح للتبادل الثقافي"<sup>1</sup> وهذه القدرة التي يحملها الأدباء تجعل من معرفة الأديب المبدع للنص ضرورة، فقد كان العرب بعد الإسلام يقسمون النصوص حسب قائلها فترتب لطبقات فنجدهم يصنفون القرآن الكريم في الطبقة الأولى يليه الحديث النبوي الشريف حسب روايته ويليه الشعر الجاهلي حسب شعرائه ويليه المحدث وهو مما لم يكن يعتد به كثيرا خاصة في القرن الرابع الهجري وبعد نقشي اللحن، وهذا الترتيب قائم حتى في الاستشهاد في كتب النحو، ومعرفة المؤلف أيضا ضرورية للتفريق بين الكتب مشتركة العناوين كـ"بيجماليون" لتوفيق الحكيم و"بيجماليون" لبرنارد شو (George Bernard Shaw) ورواية "جوع" لمحمد البساطي ورواية تحمل نفس الاسم لكنوت همسون (Knut Pedersen Hamsun) لولا معرفة المؤلف لما أمكن التفريق بين الكتب ولشكل لنا اتفاق العنزان لبسا كبيرا لذا، إن الولوج إلى العمل يتطلب إحاطة بمبدعه وبه تثبت هويته لصاحبه فلا يمكن نسب كتاب لغير صاحبه بل يعد ذلك انتحالا وخرقا للحقوق الأدبية والفكرية المحفوظة ويعدده العديد من الدارسين نسا موازيا، وكاتبة روايتنا هي زهرة كشاوي،

<sup>1</sup> عبد الفتاح كيليطو، الكتابة والتناسخ مفهوم المؤلف في الثقافة العربية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص13.

كاتبة جزائرية من منطقة بني ورتيلان وهي دائرة تابعة سابقا لمدينة بجاية وحاليا لمدينة سطيف، من مواليد 1993م، متحصلة على ليسانس لغة انجليزية من جامعة الجزائر، صدر لها رواية موفيو لا صانع الافلام رقم 4561، فازت هذه الرواية بجائزة رئيس الجمهورية علي معاشي للمبدعين الشباب دورة جوان 2022م وتأهلت نفس الرواية للقائمة القصيرة لجائزة آسيا جبار دورة 2022م، وتعتبر الرواية التي بين أيدينا "مدن المرجان" والتي أفردنا لها هذه الدراسة مؤلفها الثاني الذي صدر سنة 2023م، عن دار ميم للنشر والتوزيع.

### 5- عتبة الإهداء:

يعتبر الإهداء من العتبات النصية التي لا يكاد يخلو منها كتابوهو في حقيقة الأم: "تقدير من الكاتب، وعرّفان يحمله للآخرين، سواءً كانوا أشخاصا أو مجموعات (واقعية أو اعتبارية)"<sup>1</sup> ويبعث في القارئ شعورا أوليا يقصده الكاتب، ولقد جاء في إهداء رواية مدن المرجان: "إلى مدن كانت موطننا لأجود أنواع المرجان، إلى القالة، عنابة، القل، جيجل، بجاية. إلى كل جمال خربه الغزاة"<sup>2</sup>، وأول ما يلفتنا فيه أنه جاء موجها للمدن لا لبشري تحمل له العرفان وتشيد بمجهود ما فعله وإنما للمكان ولا يخفى علينا ذلك الارتباط العميق الذي تحمله هذه الرمزية بالفرد العربي فمنذ أول قصيدة كتبت لامرئ القيس داعيا إلى البكاء بقوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل      بسقط اللوى بين الدخول فحومل

منذ هذا النداء والإنسان عموما والعربي خصوصا متصل بالمكان لا ينفك عنه يذكره في كل منتج أدبي يصنعه، فالمكان يحدد للإنسان خصوصيته وقد يكون هذا العنصر مساهما في تحقيق عالمية العمل: "فالأدب الذي يكتسب العالمية هو ذلك الأدب الذي يستطيع أن يتبناه الإنسان ويجد فيه خصوصيته ومثل هذا الأدب يشق الطريق إلى العالمية ولكنه يفعل ذلك

<sup>1</sup> عبد الحق بلعابد، عتبات جيران جينيت، ص 93.

<sup>2</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 7.

عبر ملامح بارزة قوية أحدها المكانية<sup>1</sup> ولطالما ارتبط الجزائري بمكان نشأته فلقب به، يأتي التخصيص بكون المدن التي ذكرت في الإهداء أي (القالة، عنابة، القل، جيجل، بجاية) مصدرا للمرجان الذي كانت تزخر به الجزائر وهي مدن واقعة على الشريط الساحلي الشرقي الممتد من مرسى الخرز بالقالة شرقا إلى بجاية غربا فأنت مرتبة في الإهداء جغرافيا من الشرق إلى الغرب، وباعتبارها محل اهتمام التجار فانطلاقا منها استطاعوا اختراق اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وقد كان مرجان هذه المدن يشهد تنافسا من قبل الشركات العالمية لجودته ونفاسته وقد ورد في الاستبصار وصفا للقالة وبالتحديد مرسى الخرز: " وفيها يخرج المرجان ومنها يحمل إلى بلاد الدنيا، وهناك قوم لهم مراكب و زوارق ليس لهم حرفة إلا إخراج المرجان من قعر البحر... وهو أنفس مرجان الدنيا"<sup>2</sup>.

بعد تخصيص المدن المرجانية التي استأثر بها الفرنسيون وفقا للمعاهدات والامتيازات التي منحت لهم من الباشوات العثمانيين، تعود الكاتبة للتعميم فتقول: "إلى كل جمال خربه الغزاة" والغزاة مرتبطون على طول الزمان بالتخريب والسرقة والنهب والتدمير الماحي لكل جمال وقلب كل الأمور رأسا على عقب فلا يدوم الامام ولا تبقى آثار الإبداع بادية. وهذا الإهداء يعيدنا إلى الماضي الذي يمجده العربي ويبقى حبيسا له يذكره عند كل موضع، كما استشهدنا قبلا بامرئ القيس الداعي للبكاء على الذكرى.

فنحن أسرى الذكريات لا نسأم من العودة إليها وهي الملاذ الدائم لنا، ونقمة على الغزاة وعلى البشاعة التي يبثونها أينما حلوا وهذا ما يشهد به التاريخ عليهم به دائما، كما أن كاتبتنا بالنظر لما يحمله الإهداء من معنى لغوي، تقريبا كان لهذه المدن من مكانة و تحاول التذكير بها والإعلاء من شأنها فقد كانت محل استهداف غربي خاصة في القرن الثامن

<sup>1</sup> غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ط5، 2000، ص5.

<sup>2</sup> مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص126.

عشر لذا وجب الحفاظ عليها الآن وعدم تهملها بعد الأمن، كما أن فيه حسا عاطفيا عميقا يذكر بمعاناة التخريب، فاستحضرت الكاتبة هذه المرئيات المتمثلة في المدن لتعميق الإدراك الذاتي للقارئ.

## 6- عتبة التصدير:

وهي من العتبات المهمة أيضا للدور الذي تحمله، فلها مقاصدها ودورها ودلالاتها العميقة التي تتطلب من القارئ اطلاعا بالتصديرات لا تختار عبثا بل تختار لعلاقة وثيقة تربطها من المتن الروائي، ويعرفها جيرار جينيت بأنها: "اقتباس يتموضع (ينقش) عامة على رأس الكتاب أو في جزء منه... كما يمكن ان تكون في اول صفحة بعد الإهداء وقبل الاستهلال"<sup>1</sup> وقد اختارت كاتبتنا كتصدير لروايتها اقتباسا من إنيادة فرجيل جاء فيه: "هكذا جر رجال طروادة الحصان إلى المدينة؛ وأقاموا تلك الليلة احتفالا للأرباب جميعا غير عالمين بأن آخر أيام المدينة قد حان"<sup>2</sup>، يصور هذا الاقتباس أحد مشاهد القصة الخالدة لحرب الإسبرطيين على طروادة والحصار الذي دام عشر سنين، إلى أن تقرر وضع حصان خشبي يحمل الجنود المختبئين داخله بقيادة أوديسيوس أمام حصن طروادة مع تظاهر بقية الجنود بالانسحاب والعودة قافلين بسفنهم، ولأن الحرب خديعة ولأن الإنسان محكوم بالفضول فقد قام الطرواديون بإدخاله للمدينة فخرج منه الإسبرطيون ليلا ودمروا المدينة تدميرا وعاثوا فيها الفساد، والرابط بين حصان طروادة ومدن المرجان أن كليهما قد استُغل للتمويه، فالحصان كان وسيلة عسكرية للتخفي والهجوم، وتجارة المرجان كانت بالنسبة للفرنسيين وسيلة للسيطرة الاقتصادية بالإضافة إلى كونها وسيلة للتجسس وممهدة للاستعمار وتوسيع النفوذ، فكانت الثغرة التي أحدثها الطرواديون ودفَعوا ثمنها بصورة أخرى مستحدثة متجسدة في الثغرة

<sup>1</sup> عبد الحق بلعابد، عتبات جيرار جينيت، ص107.

<sup>2</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص8.

التجارية والاقتصادية التي أحدثتها الشركات الفرنسية والتي غفل عنها الجزائريون وقت الإيالة العثمانية فسمحوا للمستعمر أن يصل ويجول في أراضيهم ويستميل العديد من مسؤوليهم بالرشوات والأموال والهدايا والأعطيات، ويجمع أخبارهم نتاج ذلك ليضرب في الوقت المناسب عندما تحين ساعة الصفر وتهدأ الحركة و يضمن النتيجة النهائية لصالحه، وثقافيا يمكن القول بأن الأذهان تستقر الآن على أن كل انهزام يكون بعد خطة محكمة للمهاجم غفل عنها الخصم فأردته صريعا، رغم اختلاف المجتمعات والأزمان إلا أن الخديعة واحدة وهي الوسيلة التي يلجأ إليها الغازي دوما حين إدراكه صعوبة الأمورية بالهجوم المباشر.

### المبحث الثاني: الأنساق الثقافية المضمرة في المتن.

يعتبر الانتقال من النقد الثقافي إلى النقد الأدبي قفزة نوعية في مجال النقد فلم يعد الأديب ينظر إلى النص كبناء رسمي مغلق بل صار ينظر له كبناء منفتح على كل المجالات التي تجاوزها النقد الأدبي وبذلك حطمت مركزية النص وألغيت الجماليات والتركيز على البناء الفني وصارت ثقافة النص هي المركز الذي يهتم به الناقد وتتضمن هذه الرواية مجموعة من الأنساق المضمرة .

#### 1-النسق الاجتماعي:

مادامت الرواية جنسا أدبيا تعبيريا عن المجتمع الذي كتبت فيه ومرآة عاكسة لحياة شعبه فإنها تتضمن أنساقا اجتماعية مختلفة تتماشى والتناقضات التي يعرفها المجتمع، وهذه المظاهر تفسر الانفتاح الحديث للرواية على العلوم المختلفة كعلم الاجتماع، وسنحاول التطرق لأبرز الأنساق الاجتماعية التي صورتها الرواية.

1-1 النسق الذكوري المركزي (نسق الفحولة):

يعتبر هذا النسق من الأنساق المتحولة التي تسربت من الشعر العربي بعد التحولات الاجتماعية التي عرفها المجتمع العربي وبعد تغير الصورة الشعرية القبلية وانتشار فردانية الشاعر، ونظرا لهيمنة الصورة الثقافية التي أحدثته وأحدثها بدوره لم يقتصر على الشعر بل غزا جميع الأجناس الأدبية على اختلافها وارتبط بالسلوكيات الاجتماعية والسياسية والأخلاقيات: "وماذاك إلا لأن الشعر في الأصل هو علمنا وديواننا وما يحدث فيه يصبغ شخصيتنا ويؤثر في تكوينها وتوجيه سلوكها وسيكون مسؤولا عن سماتنا الشخصية"<sup>1</sup>.

ويتجسد في هذا النسق إثبات الذات وإشباع لئرجسيتها بكبح مسار الآخر الذي يكون في كثير من الأحيان متجسدا في الأنثى مسلوقة الإرادة التي لا تكون لها فاعلية وتكون تابعة دائما لهذا الأنا الذي يطغى بها ويمارس عليها فحولته، ورغم أن هذه الرواية كتبت بلسان الجاسوس الفرنسي وهو السارد فيها إلا أن النسق بارز في الرواية وقد يرجع ذلك لسببين نحاول افتراضهما:

**السبب الأول:** اشتراك النسق بين الثقافات المختلفة فإن كانت الرواية تحاول محاكاة الثقافة الفرنسية إلا أن الرجل الطاغي القابع في مركزيته ثابت بين جميع الأعمال وفي جميع المجتمعات فلا يمكننا احتكار هذه الصورة وتجاوزها بالنظر إلى الإطار العام الأوروبي للرواية فالصورة الذكورية مشتركة بين الثقافة العربية وبارزة في العمل.

**السبب الثاني:** تغلغل النسق في ذات الأديب للدرجة التي برز فيها السارد بلمحات عربية بعنجهيته وتسلطه وما يحمله من صفات رغم أن الشخصية تنتمي لمحمول ثقافي آخر ورغم

<sup>1</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 119.

أن الغدامي يعتبر حمل مشعل الفحولة من صميم الجملة الثقافية العربية: "يحملها لنا ويغرسها فينا النسق الشعري المهيمن والمشعرن لكل سماتنا الشخصية الثقافية"<sup>1</sup>.

ويبرز هذا النسق في القيم التي تخفي الآخر وتنسخه وتحاول طمسه فيستقوي الفحل على غيره إثباتاً لنفسه ولا تتحقق الفحولة إلا بالثنائية أنا /آخر التي ينتصر فيها الأنا انتصاراً يميزه عن غيره فيتسامى عن التماهي مع الجماعة ويشكل لنا في خطابه فرزا طبقياً ينمي الأنا النسقية فالشاعر يرقى على كلية البشر والذكر يرقى على الأنثى: "ويأتي الفحل على رأس الهرم الطبقي، حيث يتعزز مفهوم التميز، ويبدأ الفحل باكتساب صفاته عبر خلق سمات خاصة به، حيث يحتكر لنفسه حق وصف الذات"<sup>2</sup> وظاهرياً نرى بأن الفحل هو المسؤول عن تصدير هذه الصفات ولكن الواقع الذي يشير إليه الغدامي هو أن الثقافة هي العامل المشكل للصورة النسقية والمروج لها و بالتالي فإن الفحل هو مشارك فقط في العمل الذي تؤسس له الثقافة وتحميه، وينتقل بذلك دون فواصل أو حدود في كافة البيئات الاجتماعية والسياسية والإعلامية ويبرر هذا النسق في روايتنا "مدن المرجان" عبر شخصيتين أولهما شخصية الجاسوس: "فيكتور دي أوغو" الذي كان يمجّد ذاته بإقصاء المرأة وذلك بجعلها مختزلة في (الجسد) أداة الشهوة فيقول في ثنايا المتن: "شعرت برغبة جارفة وقد استيقظت شهوتي طفقت باحثاً عن اللذة وقد طردت الشعور بالموت"<sup>3</sup> فهو السيد الذي يعتبر النساء مجرد أداة لإشباع الغريزة ووسيلة لتحقيق اللذة المؤقتة التي لا تحتمل الانتظار بالنسبة له حتى وهو في أحلك الظروف فعند الهجوم على الحامية وبعد سجن القنصل "كدت أجن ... قد يسحقون الحياة التي بثها الرب بين ضلوعي... قد يخترق رمح قادم جسدي"<sup>4</sup> رغم كل هذه الظروف السيئة ورغم كل الهلع الذي شعر به بداية إلا أن ذكوريته تحركت وآثر

<sup>1</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 122.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 125.

<sup>3</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 16.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 11

لذته التي لن يجدها وسط الخراب إلا في الأنثى، إضافة إلى رفضه عبودية العمل بدوام كامل وأخذ الأوامر من غيره فهو مالك زمام نفسه ولا أحد يستطيع تقديم الأوامر له إلا الحاكم الذي يخضع لنابليون وفي هذا الطرح تعميق لفكرة سيادته " لا يمكن أن أعمل هناك وأنصاع للأوامر كما يفعل النساء والأطفال المتسولون من السادسة صباحا حتى العاشرة مساءً"<sup>1</sup> وهو للكبرياء والغرور الذي يحمله يرى بأنه يستحق المكانة الرفيعة وأعمال النبلاء هي ما يوافقها لا أعمال العبيد فهو يرقى عن غيره: "لا يمكنني أن أكون حارس آلات، كما لا يمكنني أن أكون فلاحا مستأجرا عليه ان يحرث الأرض ويسدد الإيجار ويعطي حصة من المحصول للمالك دون أن ينسى إرسال الذرة إلى مطحنته ودفع الضريبة والأعشار للكنيسة ورسوم أخرى، ومراقبة المحصول الذي يتناقص من الجاودار والقمح والشعير والشوفان والحنطة السوداء"<sup>2</sup> وهو إرضاء لذاته عمل كجاسوس ليحصل على الحياة التي يريدها ويرى نفسه بصورة المخلص و الحامي للكادحين والبائسين " لقد اخترت خدمتهم والسعي لجمع المعارف عن أرض تعدهم بالأفضل ... اخترت الإخلاص لمهمة ستمنحني الشرف، الشرف يا مونكا"<sup>3</sup>

رغم هذا الانغماس في اللذة إلا أنها لحظية وسرعان ما يتركها لبحث عن العز والشرف فهو يرى نفسه من العظماء وهذا المدح الذاتي أيضا كما سبق مما أفرزته الثقافة العامة للمجتمع يقول فكتور في موضع آخر: " يحتاج الرجال إلى دفء النساء، لكن السعادة المشتهاة يمنحها التاريخ وحده... لا تعلق النساء في قلوب العظماء طويلا"<sup>4</sup> فهو يقر لنفسه بالعظمة والوفعة والشرف وهي من صميم الفحولة ليضيف مؤكدا على هذا المبدأ في خطابه لنفسه عندما يقول: " يعلقن بعض الوقت، إلى حين، ثم يشتعل حنين الرجل منا إلى المجد

<sup>1</sup> ، زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص56.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص56.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص57.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص105.

والشرف، حتى إيزابيل حتى مونكا أشعلت قلبي إلى حين، شهواتي الأخرى انتزعتني من بين يديها وقذفت بي إلى الطريق الطويل مجددا<sup>1</sup> فرغم طول طريق المجد إلا أنه يسمو به ويرضي طموحه، كما يصور فكتور دي أوغو ثنائية أخرى يرقى عنها وهي ثنائية الشاعر/المحارب فكلاهما يعاشر النساء وتكون مطفئة للهبب النشوة وجذوة الرغبة إلا المحارب يتحاوز الشاعر في كونه لا يحب النساء فيصور التناقض: فتلك الرغبة التي كان يصورها على أنها جامحة لا تحتل الانتظار صار يعافها ويتحرر منها لأن المجد والشرف أحق بالحب منها فهي ليست سوى كائن مستعبد: " ليس مجديا أن أحب النساء يسكن أذهان الشعراء أما المحاربون الأشداء فتسكنهم البطولة. إنها حب أيضا حلم وشهوة، من أجل الشرف والخلود ما عدت أبحث عن النساء أعيش على ما تعافه النفس أحيانا كثيرة<sup>2</sup> حتى أن ذاكرته يغلب عليه المدح: "لقد اختفيت هناك لسنوات يا فيكتور، أنت تاجر مرجان كبير لو أنك وجدت من يزيك لأصبحت من رجال نابليون المهمين<sup>3</sup> وبالنسبة لبطلنا فإن الفحولة عنده قد أخذت معنى آخر فهو يحس بقيمته مادام يخدم الإمبراطورية: " يسكنني شرف أن أكون عينا لبونابرت<sup>4</sup> ورغم أنه لا يقبل أن يؤمر ويتعالى عن غيره إلا أن انبهاره بشخصية نابليون ووطنيته الصادقة جعلاه يفضل هذه الخدمة عن أي عمل آخر، بل إنه ينال المكانة والحظوة عند نفسه وغيره بهذا العمل، عندما يعود فكتور لتذكر الماضي فإنه أيضا يستحضر مدح جده له وتلك الرغبة التي كانت تلح عليه منذ الصغر بأن يكون متفردا مختلفا عن غيره معليا لاسمه واسم العائلة وذلك بحمل الاسم الذي أراد جده تسمية حفيده به ليحقق ما لم يستطع تحقيقه هو بنفسه؛ " أعدك يا جدي عندما أكبر سأحضر لك الكثير من المدافع البرونزية هاهاها، شجاع أنت مثل جدك يا سيمون الصغير، هكذا سأناديك منذ

<sup>1</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 105.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 106.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 115.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 122.

اليوم"<sup>1</sup> حتى أنه في لحظات خلوته أسير الصورة المثالية الراقية التي كان عليها يستذكرها متحسرا لما آل إليه عند الحصار: "بالأمس كنت فيكتور دي أوغو، تاجرا من كبار تجار المرجان المرسيليين بعدما أدت خدمتي في سلاح البحرية؛ رجلا نبيلًا، حليقًا، رائعًا، غندورا، متأنقا في ذوقه، صديقا لكبار الضباط والتجار ورجال البنوك"<sup>2</sup> فهو يصف نفسه بالرائع، والنبيل والمتأنق، ولأنه كان يجد في صورة نابليون الصورة المثالية التي تمثل السيد و الحاكم فإنه يشبه نفسه به بل ينسب لنفسه نفس صفات نابليون: "وكما تعلمين أنا رجل لا أجد في الخدع الدنيئة أيّة لذائذ ولا أرتاد حفلات اللهو، عليك أن تكوني سعيدة مثل زوجة بونابرت، فهو مثلي لا يجد وقتا للمتعة الصغيرة، أنا مسكون برغائب المجد والشرف والسمو"<sup>3</sup>، غير أن هذه الفحولة تنكسر في اللحظة التي تسحب منه فيها الثقة فيدخل في حالة من التغرب والضياع ويحس بأنه دون قيمة فحتى الإمبراطورية التي خدمها بروحه لا تستطيع الاعتراف به فقريبه حذره من العودة للوطن الذي خدمه: "جهزوا ملفا ملفقا لك سيتم حجبك عن الأنظار إن عدت... ثم يدينونك بالخيانة العظمى"<sup>4</sup>

<sup>1</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 126.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 73.

<sup>3</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 134.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 358.

### 1-1-1- صناعة الطاغية:

تبرز في النص صفات أخرى للفحولة تؤسس للسلوك الاجتماعي توافق ما سماه الغدامي بصناعة الطاغية فننتقل بها من الصورة المتضخمة التي جسدها فكتور دي أوغو المغرقة في الأنا إلى صورة قائد يختزل "نحن" في "الأنا" فرأي الجماعة هو رأيه والقول قوله، وتجسدها مدونتتا في صورة "نابليون بونابرت" بعظمته والمدح الذي وجهه له فكتور: "وهذه الأنا المتضخمة الفحولية التي لا تقوم إلا عبر التفرد المطلق بإلغاء الآخر وبتعاليتها الكوني وبكونها هي الأصح والأصدق، حكما ورأيا ويكون الظلم عندها علامة قوة وسؤدد والكذب عندها مباح وتشعر بما لا يشعر به غيرها وترى ما لا يرون والعالم محتاج إليها لأنها هي المنقذ الكوني"<sup>1</sup> فنابليون كان أيقونة الشعب والصورة التي يطمح كل فرنسي للوصول إليها حتى أنهم كانوا يتشبهون به في سياق المدح، لذا ففي الرواية عند النظر في النسق نجد بأن صورة نابليون هي أحسن مثال يمكن ان يصور لنا الطاغية الذي أصبح تقده من الكفر و العصيان حتى أن كان يدبالنسبة لهم المنقذ المنتظر الذي ورد وصفه في النبوءات حسب تصريح العقلاء والمجانين: " (نابليون دي بونابرتي) هو حتما الرجل الذي تنبأت به ترانيمنا وأنه سيقضي على الباشا القرصان عدو المسيح، ويحل محله ثم يصير نصف إله بعد أن يغزو كل أوروبا ... أيتها السيدات والسادة دعوني أتنبأ ملازم أول يصبح إمبراطورا وسيدك الجزائر دكا"<sup>2</sup> فنابليون تجاوز صورة القائد العسكري وصورة الإمبراطور الذي يمثل ويقود سدة الحكم إلى صورة تعج بالعظمة و التفرد فهذا نحن يتعالى على الآخر وينفيه نفيا مطلقا فهو الذي يتطلع للمجد: " بونابرت لا يغنيه القليل ولا يرضى بالدون"<sup>3</sup> بل وينزهونه عن الخسارة ففي أكثر من سياق جاء على لسان الشخصيات أن نابليون ينتصر دوما في معاركه فانهزامة يعني انهزام الإمبراطورية حتى أن أصحاب الامبراطوريات الأخرى صاروا يتكلمون

<sup>1</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي -قراءة في الأنساق الثقافية العربية-، ص 192-193.

<sup>2</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 74.

<sup>3</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 313.

عنه على أنه العامل المتفرد الذي أعلى من مكانة فرنسا فأنهى الكابوس الملكي ونقل أوروبا جميعاً لعهد جديد " نابليون أنعش غروركهم"<sup>1</sup> رغم كل هذا المدح اللفظي إلا أنهم يرون الكلام عاجزاً عن وصفه بما يستحق: "أما كل ما قيل عن نابليون فلن يبلغ شيئاً مما هو عليه من عظمة وتفرد"<sup>2</sup> فهو فوق الخيال. وفوق التصور لم تشهد فرنسا مثله: " لم تشهد فرنسا قائداً أعظم من نابليون يروج الإنجليز عنه تلك الإشاعات المقيتة، إنه لرجل يلتزم بالعهد وسيسد ديوننا"<sup>3</sup> فهذه الثقة العمياء بهذه الشخصية التي فرضتها الثقافة المجتمعية والمتجسدة في الخطاب جعلت الرعية يتقون فيه ثقة عمياء بل ينتصرون له ويردون الشائعات عنه " اطمئن لا يشبه الإمبراطور نابليون الملوك، لقد أقر حقوق الإنسان وحمى الثورة تماماً كما سيحمي عهد الصداقة الذي عقده بيننا"<sup>4</sup> وبالتالي فإن صورة نابليون الفحل الذي لا يضاهيه ملك تغلغت في الوعي الجمعي فكان وجوده سبباً لنفس صورة الآخر هذا المدح المبالغ فيه صنع نابليون الطاغية الذي باركته الثقافة الاجتماعية وصدرت لصورته وجعلتها صورة لا تقبل التشويه فالكفر بهذا الصنم الذي شيده الفرنسيون أنفسهم هو كفر بالإمبراطورية وخيانة لها فـ" الخطاب المدائحي يعتمد على الكذب والمبالغة، باتفاق ثقافي بين كافة الأطراف والمؤسسة الثقافية ترعى ذلك وتباركه"<sup>5</sup> فالغذامي يعري هذه المفاهيم ويوضح حقيقتها ببعدها عن الاستحقاق الفعلي وكونها مجرد انغراس في الوجدان الثقافي فليست الفحولة بهذه الصورة إلا مفهوماً مغلوطين يصور ويضخم الذات الإنسانية البتلة -ولا قصد بها هنا الشخصية الرئيسية بتقسيمها العام بل الشخصية التي تحمل صفات البطولة- في الرواية أو القصيدة أو أي جنس أدبي مع وجود شرح كبير بين الأسباب الفاعلة والنتائج التي ترتب عليها هذا

<sup>1</sup> ، زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص136.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص116.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص163.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص254.

<sup>5</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص121.

المدح فالمادح لا يستوعب النقائص التي يحملها ممدوحه ومما سبق ولو أسقطنا ثقات الغدامي التي أفردتها للفحولة لوجدنا نابليون مستحقا لها بجدارة وهو مثال حقيقي لها فهو يوصف بأنه أفضل من الباشا ومن غيره من الرؤساء والقادة: "أنت تعلمين أن الباشا لا يرفع العلوم، ولا يقلد الأوسمة كما يفعل نابليون العظيم، منشئ المدارس والأكاديميات"<sup>1</sup> وبذلك يكون نسقه ملغيا لغيره وهذا صميم المطلوب فلولا: "لن تضعه الثقافة في مرتبة الفحولة إلا بعد أن يثبت مقدرته على إسكات أي صوت سواه فالآخرون زعنفة، وكذلك الشأن بالنسبة للطاغية النسقي"<sup>2</sup>، إلا أنه ورغم كل هذا التهويل فالسطوة تزول في بعض الأحيان وتنتشع الغمامة التي تغيب العقل، فتتضح عيوبالنسق الثقافي المتجذر عن الطاغية وينقد بلسان الشخصيات المهمشة التي لا تكن له الولاء ويوصف لا بصفته فحلا بل بصفته طاغية ومستبدا: "كنا ننتظر أن نفتح الجزائر على يديه وإذ بنا نفقد على يديه كل امتيازاتنا القديمة وتجارتنا وموانئنا"<sup>3</sup> كما تسقط عنه صفة التفرد فيمائل بغيره بل ينزل إلى مكانة أدنى منهم: "يبدو أن نابليون قد أصيب كما الملوك الخالدين بلوثة الجنون مثل الإسكندر الأول في روسيا، وفريديريك ويليام الرابع في بروسيا، ربما صار الفرنسيون بحاجة أكثر إلى رجل مثل بينجامين فرانكلين، ذلك الأمريكي الفذ العظيم"<sup>4</sup>

إلا أن النسق الثقافي للفحولة يبقى أقوى من هذه الأصوات المهمشة التي لا تحمل الولاء لأي طرف من الأطراف ويتضح ذلك جليا لارتباطه بفرنسا وارتباطه بالمجد فالمجد ليس إلا نابليون: "سواء عاد نابليون من هذه المعركة أم لم يعد سأظل كما فرنسا أتذكره كرجل عظيم، لم يعد ذلك الملازم المغمور بل الإمبراطور الذي يشيع حوله إحساسا بالمجد

<sup>1</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 285.

<sup>2</sup> عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 196.

<sup>3</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 312.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 344.

والسمو والرفعة، هز بمعاركه العالم<sup>1</sup> غير أن فحولة نابليون التي يتفرق بها عن فكتور وغيره لم تتمثل في الارتقاء من خلال قمع الأنثى تحقيقاً للرغبة واللذة، فلذته كانت تتمثل في تجهيز الحملات العسكرية والظفر بمستوطنات جديدة شرقاً غرباً لتوسيع الامتداد الفرنسي فكما كان الرجل منهم يتمتع بالنساء كان نابليون يتمتع بالخطط لاستعمار البلدان وتجهيزها للحكم الفرنسي وإقامة مستوطناته فيها وهذا النسق الذي يظهره بطلا فاتحا يختفي وراءه نسق ضمني بكونه مختلاً مغتصباً للأراضي التي لا سلطة له عليها قاتلاً للأبرياء ومهووساً بالمكانة والرقي متستراً تحت غطاء القائد الذي يسدد الديون ولا يخلف الوعود والمواثيق وتغطية هذه الجرائم والخروقات ليست مسؤوليته بل مسؤولية الوعي الجمعي الذي يصر على تمجيده وإخلاص الولاء له فالثقافة تتستر على عيوب الطاغية وتروج له.

## 2-1 نسق الأنوثة:

### أ- الأنثى والجسد:

نظراً لتجذر النسق الفحولي في الثقافة وسطوته وعدم القدرة على كبجه فإنه قد شكل لنا ثنائية ذكر/أنثى نسقان أدت العيوب الثقافية إلى جعلهما متعارضين تفرض مركزية الأول منهما تهميش الثاني وقمعه فقد جعلها هامشاً لمركزيته وبالعودة إلى الإطار الزمني للرواية فإنها وقعت في زمن يشهد هيمنة ذكورية بارزة واستثنائاً بالمرأة وسلباً للإرادة الحرة للنساء فهن مجرد وسائل وهذا راجع إلى كون المجتمع أبويًا ويظهر ذلك في الرواية بشكل جلي فالأنثى لا قيمة لها إلا من حيث جسدها واعتبارها وسيلة لإطفاء الرغبة الجنسية التي تلح على الرجل وجسدها بالنسبة له مطية رخيصة يدفع مقابلها بعض الدراهم لينال متعته ممارساً فحولته كما صور فيكتورمونكا: " طفقت باحثاً عن اللذة... وضعت يدي على خصرها... وهبتها بالأخرى صرة من النقود... ثم أطفأت جذوتي ارتخى جسدي وهويت ...

<sup>1</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص344.

كم أحب منح جسدي للنساء الجميلات لم أمنحه يوما لنساء القالة كنت أزدرين وما زلت أمقتهن<sup>1</sup> فكان يبحث عن النساء الأسيرات الجميلات ليحقق من خلالهن متعته ويمارس عليهن رجولته بل إنه يعتبر ذلك من كمال الرجولة فلم يكن يستطيع البقاء دون أنثى لأيام عديدة فاللذة عنده ضرورية لإنجاز الأعمال كما ينبغي وغيابها سبب لانزعاجه: "يومها كنت غاضبا، فقد مرت ثلاثة أيام دون أن أمس امرأة"<sup>2</sup> والجسد الأنثوي يشترك في رمزياته بين الثقافات جميعا لأحادية النظرية الذكورية الجنسية للأنثى رغم أن ثقافتنا الدينية الإسلامية قد كرمت الأنثى ووهبتها المكانة والرفعة والمنزلة العالية إلا أن الرواية المدروسة وما دامت بلسان أوروبي فالنظرة لا تتجاوز النظرة الشهوانية للجسد أو النظرة الغائية المادية وإن الجسد كان ولا يزال قضية شغلت الحركات النسوية والنقد النسوي للقدرة التي يملكها الرجل لنبذها وفرض سلطته عليها والعمل على تهميشها مما أثر على الثقافة تأثيرا سلبيا و صاغها لعقود من الزمن "ذلك أن فئة الآخر الجوهرية في صوغ الذات الإنسانية بكاملها لأن إحساسنا بالذات لا يتكون إلا في مقابل شيء آخر غير الذات، لكن الرجال يستولون على فئة الذات أو الفاعل ويجعلونها حكرا عليهم وينزلون المرأة منزلة الآخر إلى الأبد"<sup>3</sup> وهذه النظرة الدونية للمرأة بدأت منذ القدم مع آراء أرسطو طاليس الذي يراها بأنها أدنى مرتبة من الرجل بيولوجيا وفطريا، وإثباتا لسلطة الرجل فإنه يستغل جسدها المستلب كأداة ليمارس سلطته ليس إلا، لذا فالجسد لم يعد تحت تصرفها تعميقا لحالة القهر التي تعيشها المرأة كذات مهمشة فاقدة للسلطة والإرادة والقدرة على التغيير والانتفاضة، يتحكم فيها الرجل السيد بالجبروت والقهر ويقمعها ذلك ما فعله باش المكاحلية بإيزابيل بعدما أشيع خبر باقتراب عزله فأصبحت وسيلة يفرغ عليها جام غضبه.

<sup>1</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص16-17.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص93.

<sup>3</sup>أسماء معيكل، الجسد الأنثوي والأهواء، مجلة فصول، ص 563.

فاستبدلها بزوجة أخرى لأنه يرى في المرأة ضرورة بعدما فشل في الترقى في وظيفته ونيل السلطة العملية والحظوة عند السلطان: "غادرها إلى زوجة من المور، حسناء أصغر سنا، رفضت زواجه فرفع السوط عاليا وأسقطه على جسدها وقعت أرضا ضمت يديها إلى بعضهما وأخذت في العويل"<sup>1</sup> فباشا المكاحلية يمثل السطوة الذكورية القامعة للأنثى والمهمشة لها فلا حق لها ولا فائدة من علمها وهي محل للشك ومصدر للخطيئة: "أمسك بيدي مرة ورأى آثار الحبر عالقة بأظفري، كاد يسحق أناملي تحت قدميه، ظنا منه أنني أرسل رجلا غيره. ثارت ثائرته سلبني كل الصلبان المعقوفة وراح يطعنني بها منحني اسما آخر هو سلطنة ووضع عبدا لمراقبتي"<sup>2</sup>، ففي هذا المقطع و إمعانا في السطوة غير لها الاسم فلم تبق لها سلطة على نفسها بل غرس فيها الاغتراب حتى اسميا ولا تستطيع الاعتراض ولا فرض حضورها بهويتها الأصلية. كما أن العلوم التي كانت تحملها إيزابيل ولأنها كانت في مجتمع مغرق في الذكورية لم تشكل فارقا ولم ينظر إليها بالاهتمام المطلوب حتى انها اعتبرت جنونا وعتها فعندما كانت تتحدث له عن فولطا وتسرد له قصص فالفاني لم يكن يفكر إلا في السبيل لقضاء وطره ولم تكن تلك القصص تهمة في شيء فهي مجرد رغبة: "تقص عليه بصوت خافت حكايات أوروبية عجيبة مثل حكاية فالفاني واكتشافه للتيار الكهربائي قبل ثلاثة عشر فيبدو له ما ترويه أساطير في يوم آخر تؤجل نزقه الجامح بحنكة، تشرع في سرد قصة السيد فولطا ... لكن سرعان ما نفذ صبره"<sup>3</sup> فهو لا يريد أن يسمع منها عن العلماء والحكايات الأوروبية وإن كان يساير حكاياتها في بعض الأحيان إلا أن غايته مختلفة عما تحمله فالمرأة بالنسبة له يسعدها الرجال والمال لا غير "دعك من تلك الأعاجيب الأوروبية يا إيزابيل، وتزوجيني، فالنساء هن النساء، لا تهزهن إلا الثروة

<sup>1</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان ص159.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص185.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص87-88.

والجمال<sup>1</sup> فيزابيل المرأة الأوروبية المتقفة وجدت نفسها مطالبة بالزواج من رجل لا يقدر ثقافتها فهول جاهل لها لا يعرف غير السلاح والغزو والنساء: "بطارية هاهاها كهل وبائية لو يمع أحد غيري أحاديثك هذه لنعنوك بالعتة والجنون وأكاد أن أفعل"<sup>2</sup> ينظر إليها نظرة جسدية لا تخلو من شهوة وهذا ما أدى إلى رفض للاحتفاء بخصوصية المرأة والاحتقار لمعارفها باعتبارها جنونا وعتها وهذا ما أدى به إلى الزواج بها السعي للظفر بها وكأنها رهان أرادته لإثبات فحولته ليس إلا، ولأن إيزابيل أو السلطانة كما فرض عليها الباشا أن تسمى كانت أنثى فليس لها الحق في الانعتاق ويجب أن تزرع تحت العبودية التي فرضت عليها وأن تبقى خادمة للجمهورية التي استعملتها لتنفيذ الأوامر لا غير، وتمكنه من ذلك جعله حقق له الغاية، وكانت هي المتنفس الذي يفرغ فيه جام غضبه كلما أهمه أمر فعندما هلكت أرضه أصبح يحتقرها يستبيح إذلالها ويتعامل معها كبائعة هوى "أتى الوباء على أرضه وزرعه ويات محصوله في خسران، فصار يعاملها كفتيات الهوى متجاهلا نبيل دمها وعائلتها المرموقة فما عاد لها من أمل في الكرامة أو الحياة"<sup>3</sup> فالأنثى البائسة لم تجد هويتها محترمة وذلك ما يصوغه المجتمع حولها لأنها في النهاية ليست إلا أنثى.

#### ب- الأنثى وسيلة للإغراء:

وليست هذه الصورة الثقافية الوحيدة التي تحملها الرواية بل تجسد لنا صورة أخرى غارقة في القدم منذ ظهور الميثولوجيا الإغريقية متمثلة في شخصية بانديورا الأنثى الأولى التي جعلها زيوس وسيلة للانتقام من بروميثيوس لسرقة آلهة الأولمب وهي التي حررت الشرور من صندوقها فغمرت الأرض وانتشرت بين البشر، كما أن النصوص الدينية تتسبب لحواء الخطيئة البشرية الأولى لذا فالأنثى كنسق ثان متجذر في المخيال الشعبي والثقافة المهيمنة

<sup>1</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 89.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 150.

<sup>3</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 174.

هي صورة للإغراء المؤدي للخطيئة، وقد تم استغلال هذه الصورة للمرأة بجعلها جاسوسة تخدم الإمبراطورية الفرنسية فرغم الحفاظ على كونها مسلوبة الإرادة لا تملك زمام نفسها إلا أن الرجل قام باستغلالها كسلاح ضد أعدائه إيزابيل كانت أداة فرنسا في الجزائر، وكانت هذه المهمة التي أوكلت لها تشكل مكانتها، فلأنها مهمشة و مقهورة لا سبيل لتقدر إلا بالعمل السري لصالح نابليون الذي تطمح بأنه سيقولها أوسمة ويعترف بفضلها فهذا ما قضى فكتور زما لإقناعها به لتستكين وتحقق له كل ما أراد بعد ما مات أبوها فعاشت ظروفًا صعبة و مات زوجها بعدها ففقدت حياتها كل هدف وماتت معنويًا بدورها شبابها إلى أن احتواها فكتور وجندها: "استدرجت إيزابيل أول الأمر إلى فراشي ثم جندتها وصنعت منها عينا من عيوننا"<sup>1</sup>، فأصبح يصور لهذه الأنثى المهمشة بأنها ستصبح عظيمة لذا استغلت جسدها وجاذبيتها التي كانت وبالا عليها لتثبت مكانتها في الإمبراطورية ويذكر اسمها ضمن الذين خدموها.

"كثيرات هن النساء اللواتي لعبن دورا بطوليا من أجل الجمهورية تماما كما ثمة فرنسيات لعبن دورا مشينا، تذكري حلمك أن تجعلي نابليون يعجب بولائك ويقلدك وسام الشرف، وتذكري كان للنساء يد في تعيين الرجال قبل الثورة وبعدها ... عليك أن تفكري في المجد الذي ستجلبه لك مهمتك إن أنت أحسنت القيام بها"<sup>2</sup> لذا فقد تم استغلال النسق الأول الذي يشكل صورة من صور الفحولة من خلال علاقته بالأنثى بالنسق الناسخ له نسق الأنوثة فهي القادرة على كسر صورة الفحل في لحظات رغبته وشهوته التي لا ترضيها غيرها وهذا هو الوتر الذي لعبت عليه إيزابيل قبل أن تتطفئ جذوة الباشا: "كوني تارة كالغانية، وتارة أخرى

<sup>1</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص106.

<sup>2</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص92-93.

كالقديسة ادفعيه ليعترف لك بكل شيء تذكرني قبل أن تنقشع عن عينيه سحابة تعلقه بك  
ستغادرينه أعدك"<sup>1</sup>

فأصبحت الأنثى بذلك تمثل نسق الخديعة مع استمرارية كونها مضطهدة ومهمشة تقاسي  
الأم: "لا يمكن لأحد أن يدرك ألم امرأة فرنسية اضطرها الواجب للزواج من عثماني  
بغيبض، لا وطني ولا قريتي ولا حتى أُمِّي قد تفعل، حتى الرب الذي لجأت إليه لم يمنحني  
سوى الواجب"<sup>2</sup> هذا الاستغلال للمرأة من طرف المنظمة الذكورية كان لتحصيل المجد  
والشرف لهم في النهاية فهي لفكتور دائما كانت بصورة: "امرأة تعسة قد تنتهي بها الحياة  
إلى مصير مظلم"<sup>3</sup> وهذا المصير المظلم ما يحكم به هذا المجتمع عندما تقرر اختيار الرجل  
الذي تريده والهرب معه للتوقف عن مهمتها: "أرسلت وإشيا إلى العساكر اقتحم اليولداش  
دارها جروها من طوقها ثم ساروا بها من شارع إلى شارع. تجمهر العامة تحول بعضهم  
إلى ذئاب ضارية أخذوا يقذفونها بالنعال والعصي والحجارة"<sup>4</sup> بذلك كان فاعلا في اختيار  
المصير المظلم الذي تتبأ به لها فماتت شر ميتة ولم تتحقق لها المكانة التي كانت تغري  
بها، فخطابها لها بنيل المكانة لم يكن إلا لعبا بعقلها لجعلها تنجز المهام دون اعتراض،  
فبعدها استخدمها لتحقيق مآرب السلطة بإغراء الرجال ومعرفة أخبارهم قدر عليها بالموت  
بعد الوشاية لأنها مجرد أداة في النهاية لا يؤمن جانبها وليس لها الحق في اختيار المستقبل  
الذي تريده بل تنفذ الأوامر التي يوجهها لها مجسدا السلطة الأبوية التي تتخلص من الأداة  
الأنثى عندما تنتهي من استعمالها أو عندما تتلف والتلف هنا مجسد في رغبتها أو تفكيرها  
في إيجاد حل لحياتها والتخطيط لبدء لعيش حياة منفصلة عنهم فهذه خيانة جزاؤها الموت  
والإقصاء بالكلية من المجتمع ككل فلم تعد لها أي فائدة أخرى.

<sup>1</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 91.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص 157.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص 134.

<sup>4</sup>المرجع نفسه، ص 287.

## النسق السياسي:

### أ- نسق الاستعمار:

تظهر في الخطابات الغربية النزعة الاستعمارية جلية وظاهرة وذلك من خلال المخططات التي يقومون بها، حتى بنظرتهم إلى الجزائر التي كانوا يملكون فيها امتيازات تتيح لهم صيد المرجان على أنها يجب أن تكون الهدف التالي لنابليون وهذا نابع من الثقافة الأوروبية المتعالية التي ترى أنها حاملة للثقافة والتطور والرفي وتتنظر إلى الشرق الإسلامي على أنه متخلف فتروج في البدء إلى ضرورة نقل المعارف وبأنها المكلفة بنقل تطورها لتخليصه من الجهل، وليس ذلك إلا شكلا من أشكال الإعداد للاستعمار وبدأت المحاولات التوسعية بالحملات الصليبية ولكن بعد فشلها انتهجت سياسات أخرى فلم يتوقف الأوروبيون عن محاولاتهم لأن النزعة أقوى من قمعها: "فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتتموه"<sup>1</sup>.

فكانت حامية القالة وغيرها من الحاميات بالنسبة لهم أرضا فرنسية وليس لهم أن يتخيلوها غير ذلك بل إن هدفهم أكبر من ذلك وسؤالهم الملح جاء على لسان فكتور: "كيف ننشر الإيمان بالحرب... حلمتُ بنقل حضارتنا ومبادئ الثورة الفرنسية العظيمة"<sup>2</sup> فهم يلمعون صورة الاستعمار الاستيطاني الذي يسلبون به أراضي غيرهم ويعتبرونه تخليصا للأمم ونيلا لما يستحقون من توسع وسيادة فالبربر مثلا وغيرهم من الأمم كانوا بالنسبة لهم مجرد متخلفين أجلاف لا يعرفون أسس الحضارة ولا أسس الرقي على عكسهم هم حملة الحضارة، أما العثمانيون بالنسبة لهم فمجرد ناهبين، عليهم طردهم من الجزائر والاستئثار بها واستغلال

<sup>1</sup>مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (ما لهم وما عليهم)، دار الوراق المكتب الإسلامي، لبنان، بيروت، د.ط، ص21.

<sup>2</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص351.

خيراتها فهم الأولى بها خاصة وأنهم أقاموا فيها الشركات وبدأوا بتذوق الأرباح التي تدرها سواحلها" لقد قدمت لهم من امة صديقة لأخلصهم مثلما قدم المسيح لتخليصنا، أنا أحترم دينهم وتقاليدهم وأملاكهم لكن اود لو أحطم الأغلال الموجودة في أيديهم وعقولهم، لا أحد بإمكانه فعل ذلك سوى جيشنا العثمانيون يذهبونكم ويستعبدونكم تحت لوائهم"<sup>1</sup> هذه الرسالة المشتركة التي تحمل في ظاهرها السلم والحب والنية الطيبة للاحتلال والتي تخفي وراءها رغبة مستعرة بالاستيلاء على الأراضي ونهب الخيرات جميعا دون رقابة.

كانت أحاديث الغزو هي الخطاب الغالب للفرنسيين المقيمين في القالة حتى أن الجنود كانوا قد اختاروا مكان الإنزال الذي يفترض بنابليون الدخول منه وقاموا بعد الثروات التي تملكها الجزائر، متأكدين بأنها لن تصمد في مواجهة الأسطول الفرنسي إذا تجاوز الحصار أياما، فالثقافة الغالبة التي كانت تهيمن على أوروبا وفرنسا بالخصوص بفضل حركة نابليون وحملاته فرضت على الرعية العقلية الاستعمارية وغلب عليهم الخطاب الكولونيالي: "كم سيكون عظيما أن يضم بونابرت هذه الأرض إلينا ، أو مات برأسي، ظلت كلماته تضج في ذهني مثله لم يسبق لي أن رأيت سهولا كسهول متيجة، ي جيجل وعنابة وبجاية الشعير والجوز والتين والزيتون وأجود الأخشاب لدار السفن"<sup>2</sup> هذا التفكير الذي ألح عليهم عند إدراك الخيرات التي تزخر بها البلاد جعلهم يفكرون جديا في جعل الجزائر الهدف القادم لحملاتهم العسكرية فبدأ الجنود يتسامرون حول الخطط العسكرية بل اختاروا حتى مكان الإنزال: " إنه الوقت المناسب الآن، لا رعايا فرنسيين في الجزائر ولا سفن لنا في موانئهم،

- وأين ينزل نابليون قواتنا حتى نظفر؟

- قال الأميرال جورج بكلمات مترنة وهو يصلح من ياقة سترته:

<sup>1</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص351.

<sup>2</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص67.

### لو وجب علي ذلك بدل نابليون لأنزلتها في سيدي فرج"<sup>1</sup>

وهذا ما يوثقه التاريخ وتتمركز حوله الرواية مصورة الثقافة المركزية في فترة زمنية حافلة في الجزائر وفي أوروبا، فترة من التخطيطات والارتقابات "راح ينقل لي أخبارا سرية عن قدوم ضابط في مهمة لتفقد أماكن الإنزال، ورغبة نابليون في تعويض خسارات حملة مصر والشام وإسبانيا وإيطاليا بانتصارات حملة أخرى على الجزائر"<sup>2</sup> رغبة نابليون في التوسع للظفر بمستوطنات للفرنجة نقلت عند رعاياه الرغبة في البحث الدائم عن المستوطنات والإحساس بأن كل الأراضي قابلة لأن تكون لهم ما دام هو قائدهم والمسؤول عليهم ولتحقيق هذه الغاية استخدموا وسائل عديدة شكلت أنساق ثقافية أخرى منها:

#### ب- نسق الخديعة:

انتشرت في المجتمعات الغربية فكرة صدر لها ميكيا فيلي بكون الغاية تبرر الوسيلة وقبل ميكيا فيلي بإمكاننا العودة إلى الأسطورة المتجذرة في المخيال الشعبي عن طريق تذكر حصان طروادة الذي صدرت به الكاتبة للرواية غير أن الخداع في روايتنا أخذ منح أخرى عن طريق الجواسيس وتوظيف النساء كما سبق الذكر لجمع الأخبار تحضيراً للانتقاض خشية من أن يسبقهم الإنجليز أو الإسبان إليها: "أخشى أن يسبقنا أعداؤنا إليها، علينا إيجاد خديعة ما تنهي السلم، ننعثم بوكر القراصنة نتخذ من مهاجمتهم لسفنا ذريعة، نستدرجهم وننكر سيادتهم،. حتى لا تتحالف ضدنا الأمم"<sup>3</sup>

هذه الرغبة في إشعال الحرب بالظفر بها دون تأليب الأمم الأخرى عليهم جعلتهم قبل الإقدام يقومون بتجنيد النساء وهذا ممثل في صورة إيزابيل التي تزوجت بباشا المكاحلية لغرض التجسس فكانت تحاول معرفة كل أسرار الباشوات والبايات وتتقرب لنسائهن تحقيقاً لهذه

<sup>1</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، 113.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 320.

<sup>3</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص 290.

المهمة،"تتردد النسوة علي تبادل الأحاديث نتسامر من بعضهن عرفت الكثير عما يستورده أزواجهن من الرصاص والخديد والأقمشة والكتان... جعلتهن يثقن بي لكن بقائي في القالة لا يخلو من المخاطر ... أسترق السمع كلما وفد إليه الضيوف"<sup>1</sup> إضافة إلى الأسماء المستعارة التي كان يحملها فكتور فكان يختبئ خلف هوية مزيفة مختلفة كل مرة باعتباره عينا من العيون وحتى لا يفتضح أمره وهو يرسل الرسائل إلى الحاكم و إلى الجنرال، كما أن المخططات العسكرية التي كان يتناقش حولها الجند لم تخل من حيلة هي الأخرى:"نزل غرب البلاد بعد أن نوهمهم بهجومات كاذبة بتوزيع قواتنا التي ستبدو وكأنها تشن هجوما من الشرق أمام رأس ماتيفو. ننسحب ليلا إلى الغرب، لإتمام إنزال الجند والعتاد. ثم نهاجم على حين غرة فالحيلة نصف الحرب"<sup>2</sup> وهذه الأفكار تعبر عن مدى تأثير الطاغية في الرعية لأنه استطاع نشر الفكر الاستعماري وجعلهم يتبنون الفكر الميكيا فيلي التي يعتنقه ومن العيوب الثقافية التي يمكن استخراجها من هذا النسق المهيمن على الخطاب الروائي المعبر عن عقلية الفرنسيين في بدايات القرن التاسع عشر التناقض الذي كان يشهده العالم في تلك الفترة فرغم أن الفرنسيين بدورهم خرجوا من ثورة و نظام استبدادي إمبراطوري إلى نظام جمهوري من وبعد أن فرغ من المناداة بالشعارات التالية: " حرية إخاء مساواة" إلا أنهم كانوا أراد أن يحرم غيره من حريتهم ويسلبهم أراضيهم و يوسع طموحه وإن كان في هذا دليل عن شيء فهو دليل على النرجسية الطاغية التي كان يحملها الطاغية ونشرها في شعبه الذي يرى بأنه الوحيد المستحق للحرية وينظر للآخر بنظرة دونية تنتقص من أحقيته و تشكك في جدارته بالاحتفاظ بالخيرات سواء كان عثمانيا أم بربريا فهو لا يملك العلوم التي يملكها الفرنسي: "الصناع هنا لا يعرفون شيئا عن قوة البخار أو الفحم الحجري أو مناجم الحديد والنحاس والزرنيخ والعقيق وحجر البلور والرصاص الجيد

<sup>1</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص157.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص112.

والرخام النجارون... كلهم يستعملون أدوات يشترونها من سفننا الأوروبية"<sup>1</sup> وهذه الصورة النمطية والاستعلاء النفسي الغربي هو ما أنتج ذلك النسق و جعله مهيمنا على خطاب شعب جمهورية كامل ويجسد في الخطاب الروائي الذي يصور المرحلة التاريخية.

### النسق النفسي:

#### أ- نسق الانشطار الذاتي:

يعيش فكتور حالة من الصراع النفسي فهو لا يملك هوية واحدة بل اضطره العمل من أجل الإمبراطورية إلى تغيير اسمه وهويته والتماشي مع ذلك باستمرار فهو يلوذ بالنسق التاريخي ليتغاضى عن حالة التشظي التي يعيشها ويبررها ويسطحها فيكون محاربا من أجل تحقيق المكانة ويستمد قيمته من قيمة نابليون الذي يخدمه ويتماهاى في صفاته ففحولته من فحولة نابليون و عظمته من عظمة فرنسا إلا أنه يبوح في ثنايا السرد بضياح هويته ويحاول تسويق ذلك بمسوغات ثقافية تجعله بطلا فالغاية التي يريدها لبلده جعلته يضحي بنفسه: "مرت أشهر، تهت، ما عدت أعرف من أنا جيوفاني ميتشي أم ثيودوريك ألونزو؟ فيكتور دي أوغو أم لويس ديتريتش؟ جوانو تيسياسترا أم سيمون الصغير"<sup>2</sup> إلا أن بقاءه في الهامش وعدم تقدير الجمهورية لمهامه بات يؤرقه ويشعره بالغدر والحسرة: "حزنا شرعت أكتب وأكتب، وقد صارت الكتابة وحدها صاحب خلوتي وحديثي ولهوي، أأتمن الورق وحده على أسراري وحكاياتي وقد بلغت الحياة مني كل مبلغ، فعجبت لعجز رأبي وصنيعي بحالي وإغفالي نفع نفسي وقد وقع بي غدر من غدر"<sup>3</sup> هذا الحزن الذي شعر به بعد أعوام من الخدمة وعدم الاعتراف والتقدير جعله يتفطن بأنه قد أنكر ذاته الأصلية ويتقمص دور فيكتور الذي قتله وسلب هويته، والهوية" من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم

<sup>1</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص67.

<sup>2</sup>المرجع نفسه، ص354.

<sup>3</sup>المرجع نفسه، ص325.

في مجالات علمية متعددة ولا سيما في مجال العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي ويعد بالتالي من أكثر المفاهيم تغلغلا في عمق حياتنا الثقافية والاجتماعية اليومية ومن أكثرها شيوعا واستخداما<sup>1</sup> وفكتور بتعدد هوياته وأسمائه التي يمثل كل اسم منها هوية عاش بها لفترة من حياته اختباء وخداعا، فإنه يمثل لنا النموذج السردى للشخصية الهامشية والتابعة بعد تخلي الحكومة عن خدماته والرغبة في قتله والهامشي هو الإنسان المنبوذ الذي تم إقصاؤه من دائرة اهتمام الشخصيات الأخرى وتم استبداله بشخصية أخرى لتؤدي نفس الدور الذي كان يقوم به في ثنايا السرد.

تماهى فكتور في الشخصيات التي عاش دورها فنسي قرابته و لم يعد يرسل أصحابه فمهمته أخذت كل اهتمامه وكل تركيزه: "ازداد شعوري بالخواء بعد يومين بلغتني رسالة سرية من غاستون ابن عمي أو ابن عمتي ما عدت أذكر قرابتي به في نص رحلتي الطويلة لكن في النص كما في الحقيقة كان الوحيد الذي بقيت أبادله الخطابات"<sup>2</sup> أخذت هذه الخطابات التي ركزت عليها الكاتبة من خلال الحوار الداخلي توحى باغترابه النفسي تتكرر في نهاية الرواية وذلك بسبب انقشاع الغمامة التي كان يحاول تصديقها وإقناع نفسه بها رغم أن الثقافة السائدة كانت تفضح المصير الذي يلقاه الجواسيس عبر الأزمنة فدائما يتم التخلص منهم رغم أنه اوهم نفسه بالعكس: "كنت أدري أنه لا ينبغي للملوك والقادة استبقاء الخونة من أمم أخرى وإن أبوا الولاء، فهم أهل غدر وكيد، لا صلاح لهم إلا الإفساد. يعامل بعض القادة الجواسيس كخونة أيضا، ذلك أن القائد لا يآتمن في سره جاسوسا،"<sup>3</sup> فالجاسوس رغم أنه يفني عمره خدمة لهيئة أو حكومة ما أو قاوَأد معين ويعرض حياته للخطر مقابل ما يحظى به من معلومات إلا أنه ينبذ ولا يؤتمن وهذا تماما ما كان مصير فكتور في النهاية

<sup>1</sup> أليكس ميكشلي، الهوية، دار الوسيم للخدمات المكتبية، دمشق سوريا، ط1، 1993، ص7.

<sup>2</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص356.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص324.

ورغم أنه يعرفه إلا ان اعتداده بنفسه وظنه بأنه مخالف وأن الجوسسة شرف له ومفخرة وأن جمهوريته تقدسه تلاشت كلها وذهبت مهب الرياح.

إضافة إلى تصوير انكسار فحولته التي كان يستمد منها مركزيته فتلك العظمة والتشبيه الذي كان يعقده بينه وبين نابليون أضحى مجرد سراب: "المصير يصنعه الرجال الفرادى لا يصنعه رجال مثلي أو مثلك وإنما رجال مثل الباشا والإمبراطور"<sup>1</sup>.

لذا فإن فكتور قد عاش حالة من الاغتراب الداخلي النفسي دفعه إليه المجتمع الذي كانت تغلب عليه النزعة الاستعمارية وكان مطالبا باختيار جواسيس وتجنيدهم.

### النسق الإيديولوجي:

تصور الرواية بالإضافة إلى ما سبق من أنساق العديد من العيوب الفكرية الثقافية التي تحملها المجتمعات الأوروبية ويصدرها المجتمع حول الآخر وترسخها حوله فأصبحت جلية في الخطاب متضحة في نظرة فكتور وغيره من الفرنسيين للآخر الممثل في (البربر والعثمانيين وفي الزوج حتى أنها تتمثل في تعاملهم معهم و نوعية الخطاب المتبع معهم فالحديث معهم يكون باستهزاء سواء كان ظاهرا أو مضمرا مع الازدراء عدم التقدير فهم من طبقة أقل ولا يهتمون بالعلوم فيعاملون على أنهم بشر من الدرجة الثانية.

نظرا لتعالي الفرنسي فإن نظريته قائمة على أساس (أنا متعال) وآخر مهمش وهذا العيب الذي حملته الثقافة الأوروبية ساهم فيه انتشار العلوم بعد عصر النهضة والحملات الاستيطانية العسكرية التي بدأت تنتعش في أوروبا فأصبح الشرق مستهدفا وأصبح الرعايا من الأمم الأخرى مجرد عبيد أو مشاريع عبيد بالنسبة للفرنسي.

<sup>1</sup>زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص349.

أ- الآخر العثماني:

بعد انتشار الحملات الصليبية الطامعة في سواحل الجزائر وخيراتها وثرواتها واستتجدت البلاد بالدولة العثمانية وأصبحت إيالة تابعة لها وأصبح الأسطول العثماني بقيادة رياس البحر يحمي الحوض المتوسط وسواحل البلاد من الهجمات الصليبية ولكن الأوروبيين شاعت عندهم أن هؤلاء القادة هم قراصنة بحر وليسوا مجاهدين فيه يدفعون عن بلدانهم جاء في الرواية:

" - كيف لفرنسية أن توافق على الزواج من قرصان عثماني قدر !

- إنه باش المكاحلية، رجل فاحش الثراء، ترفع إليه العطاءات الرغدة وكأنه الباي، الطير بالطير تصاد.

-إنه مقامر أيضا، كيف لفرنسية أن تأمن على نفسها من عثماني مقامر! يقال إنه بلحية حمراء مخضبة بالحناء، رباه سيضربها مثل الدواب"<sup>1</sup>. وهذه النظرة تفضح العيوب النسقية التي تضمنها المحمول الثقافي الفرنسي باحتقار العثماني والتقليل من قيمته والنظرة الدونية له".

---

<sup>1</sup> زهرة كشاوي، مدن المرجان، ص101.

الختامة

وفي ختام هذا البحث الذي حاولنا من خلاله سبر أغوار رواية مدن المرجان لتحليل خطابها الثقافي، يتضح جليا أن الرواية قد تضمنت عددا كبيرا من الأنساق الثقافية منها ما تم التطرق إليه ومنها ما لم يسعنا الوقت وقلة المصادر للإسهاب فيه باعتبارها تمثيلا للخطاب الكولونيالي على لسان فكتور وتناولها لفترة تاريخية شهدت فيها أوروبا تمخضات عديدة، ساهمت في بلورة ثقافتها وتوجيه رؤيتها لنفسها وللعالم وقد خلصنا من خلال القراءة الفاحصة المتأنية للرواية ومن خلال الاطلاع في المصادر والمراجع إلى النتائج التالية:

- النقد الثقافي هو نشاط يهدف إلى اكتشاف عيوب الخطاب الثقافي مع إزاحة مركزية الجمالي للنص وتسليط الضوء على الثقافة.
- تنقسم لأنساق الثقافية إلى قسمين ظاهرة ومضمرة وهذه الأخيرة هي التي يهتم بها ميدان النقد الثقافي.
- تستر الثقافة على عيوبها التي تنقلها من جبل لآخر ولكن المهتم بالخطاب الأدبي عليه التركيز في ما خلف الخطاب وما تسبب في تطوراته وأشكاله.
- تتضمن الرواية المدروسة: "مدن المرجان لزهرة كشاوي" مجموعة من الأنساق المضمرة وهذا إن دل على شيء فعلى غزارة معارف الكاتبة واعتمادها على عدد كبير من المصادر المؤرخة للحقبة الزمنية (القرن التاسع عشر) ساهم هذا الاطلاع في حسن تصويرها لشخصية فكتور بأبعادها النفسية و الاجتماعية و الثقافية ونقلها للعيوب الخطابية التي كان يمتلئ بها الخطاب الكولونيالي الأوروبي الهادف للتوسع في دول الجوار.
- تتعدد الأنساق الثقافية في رواية مدن المرجان بفضل تعدد الأبعاد التي تناولتها الكاتبة رغم اعتمادها على أحادية السرد إلا أنها استطاعت تصوير الأبعاد النفسية والسياسية والاجتماعية للشخصية البطلية والشخصيات المشاركة.
- تتضمن الرواية مجموعة من الأنساق أبرزها النسق الاجتماعي البارز في نسق الفحولة أو النسق الذي يوحي بمركزية الرجل في فترة كان يسيطر فيها النظام الأبوي الذكوري

وتهمش فيها الأنثى وتهان ويقابل هذا النسق نسق الأنوثة التي نقلت لنا كأداة لتحقيق المخططات أو كأداة لإشباع اللذة و الغاية. كما برز النسق السياسي عن طريق السلطة والأهداف الاستعمارية والخديعة.

- عبرت الروائية عن ثنائية الأنا والآخر في العديد من المحاور في الرواية فتطرقت لثنائية أنا / آخر في الحديث عن الذكر والأنثى وهذا ما سبق ومثلناه في نسقي الفحولة والأنوثة كما ظهر ذلك في نسق العنصرية مع الآخر ( اليهودي تارة والعثماني تارة والبربري تارة أخرى).

- اتضحت الغايات المرادة من الرواية بدءًا من عتباتها (عنوان الرواية وغلافها والإهداء والألوان المنتقاة ) فقد أضفت جمالية وبعدها فنيا ودلاليا إضافيا فشكلت أنساقا قيمة المعنى لا تقل مكانة عن الأنساب التي تضمنها المتن.

- نجد عددا من الأنساق المشتركة بين الروايات على اختلاف ثقافتها لأن منها ما هو مرتبط بالنفس البشرية والاختلاف الجوهري بين المرأة والرجل كنسق الفحولة مثلا الذي نجده في الرواية العربية كما نجده في الغربية.

وختاماً أحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقني لبلوغ هذه الغاية، وأتمنى أن أكون قد وفقت في قراءة هذه الرواية واستخراج أنساقها وتقديم إضافة معتبرة وقراءة مغايرة لها من المنظور الثقافي، وإثراء الساحة البحثية الجزائرية بتوظيف هذا المنهج لدراسة رواية شابة تستحق الذبوع والانتشار لقيمتها التاريخية والثقافية، وأتمنى من الباحثين تجاوز دراسات البنية السردية وشعرية السرد التي باتت المنفذ الذي يهرب إليه كل طالب عند التخرج لسهولة تناولها ووضوحها رغم ما تحمله من تكرار وقوانين ثابتة تظلم العمل الأدبي ولا تخرج منه أفضل ما يحمل، وأدعوهم لتطبيق هذا المنهج الذي أراه ضروريا لفهم العمل الأدبي واستكمال قراءته بفهم ووعي وعمق، وأتمنى في النهاية أن يكون عملي قد حظي عملي بالقبول، والله من وراء القصد.

المُلْحَق

ملخص الرواية:

رواية مدن المرجان هي رواية تاريخية حديثة النشر لكاتبتها الشابة زهرة كشاوي عدد صفحاتها 358 صفحة، صادرة عن دار ميم للنشر، طبعتها الأولى كانت سنة 2023، تأخذ هذه الرواية شكل الرواية السيرداتية، على لسان فكتور الجاسوس الفرنسي وقد وضح في ثنايا المتن كاستباق رغبته في تدوين مذكراته في قوله: "كنت كاتب عظمات متميز أحلم بنشر رحلتي مثلما نشر ذلك الإنجليزي اللعينموريسون فينيس... قد أسمى نصي اليوميات، أو رحلة إلى مرسى الخرز القديم، بدأت في تحريره باللاتينية منذ سنوات دون أن أطلع أحدا" وقد اعتمدت الروائية على صوت سردي واحد هو صوت فكتور فهو يعتبر المركز الرئيس المحرك لأحداث الرواية وكل الأحداث منذ انطلاق الفعل السردي هي استرجاع لأيامه في القالة ومرسيليا والعاصمة وظفت فيها الكاتبة مجموعة من التقنيات منها (التشظي و التبئير و الاستباق والاسترجاع و الراوي الحاضر حسب تقسيم جيرار جينيت)، قسمت الكاتبة روايتها إلى خمسة فصول تختلف من حيث الإطار الزمني والمكاني ، في الرواية صور حية تعود بنا إلى سنوات الجزائر العثمانية انطلاقا من حملة نابليون بونابرت سنة 1798، وصولا إلى سنة 1812م،

تسرد الاسترجاع الذي قامت به الشخصية الرئيسية فكتور دي أوغو التي تشهد حالة من الاغتراب الداخلي وكانت مدار ومحرك التفاعلات الحوارية فكل ما يسرد من صميم ماضيها او رحلتها بين الجزائر ومارسيليا، وقد ساهم الفضاء الزمني وحسن الحكمة في تعميق شعور القارئ بأنه يعيش أحداث تلك المرحلة التاريخية المفصلية في تاريخ الجزائر، والتي تقل فيها المصادر والمراجع، كاشفة عن السياسة التي انتهجها الاستعمار أو الخديعة التي مهد بها لغزو البلاد والمتمثلة في التستر برداء شركة صيد المرجان للجوسسة، هذا وذلك السرد الذاتي بلسان الجاسوس نفسه جاء بمثابة نقد للكولونيالية بعد غدره من طرف الجمهورية التي خدمها، ومصيره المشؤوم الذي تعرض له بالضياح والتشتت والاغتراب النفسي، وهذا من

صميم الخطاب ما بعد الكولونيالي فيكون استتطاق الآخر هو الوسيلة الأمثل لإظهار قبحه، وفضح جرائمه، كما أنها تعمقت في تصوير الجانب السيكولوجي للشخصية عن طريق حواراتها الداخلية (المونولوج) فعرت الشخصية نفسيا وعاطفيا، وأوصلت للقارئ شعوره بالنشوة وبالخيبة وإن دل هذا على شيء فعلى الرؤية الإبداعية التي تملكها الكاتبة، فرغم أنها بنت الرواية بمحورية شخصية واحدة إلا أنها كانت معبرة عن مواقف سياسية واجتماعية واقتصادية، مما جعل في الرواية زخما فكريا.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

المصادر:

1. زهرة كشاوي، مدن المرجان، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2023م.

المراجع:

2. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، لا ط، 1979م.
3. بشرى موسى صالح، بوطيقا الثقافة نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، وزارة الثقافة، بغداد، ط1، 2012م.
4. حسين السماهيجي، عبد الله الغدامي والممارسة النقدية والثقافية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
5. حسين القاصد، النقد الثقافي، التجليات للنشر والترجمة والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2013م.
6. حفناوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007م.
7. سمير الخليل، دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، 2014م.
8. صلاح قنصوه، تمارين في النقد الثقافي، ط1، دار ميريت، القاهرة، مصر، 2007م.
9. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من النظرية التفكيكية إلى البنيوية، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998م.
10. عبد الفتاح أحمد يوسف، لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.

11. عبد الفتاح كيليطو، المقامات - السرد والأنساق الثقافية - تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001م.
12. عبد الله الركبي، تطور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، معهد البحوث والدراسات الأدبية، القاهرة، مصر، د.ط، 1976م.
13. عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد ادبي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2004م.
14. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد العربي، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998م.
15. عز الدين المناصرة، النقد الثقافي المقارن منظور جدلي تفكيكي، دار المجد للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
16. عيلان عمر، في مناهج تحليل الخطاب السردية، دار الكتاب الحديث، الجزائر، د.ط، د.ت.
17. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط4، 1984م.
18. محسن جاسم الموسوي، النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
19. محمد إبراهيم السيد عبد العال، منهجية النقد الثقافي بين النظرية والتطبيق، مقال في مجلة فصول.
20. مونسي حبيب، الحداثة والقراءة مقارنة الكائن والممكن في القراءة العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 2000م.
21. ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من تسعين تيارا او مصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2005م،
22. ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، دط، دت.

23. نادر كاظم ، تمثيلا الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
24. نادر كاظم، الهوية والسرد في النظرية والنقد الثقافي، دار فراسة للنشر والتوزيع، الكويت، ط2 ، 2016م.
25. هدى وصفي، النقد الثقافي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد63، شتاء وربيع 2004م.
26. يوسف عليمات، النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، وزارة الثقافة، مطبعة السفير للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2014م.
27. يوسف محمود عليمات، النقد النسقي تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015م .
28. يوسف محمود عليمات، جماليات التحليل الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

#### المراجع المترجمة :

29. آرثر أيزنجر، النقد الثقافي تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية تر: وفاء إبراهيم رمضان بسطاويبي. المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003م.
30. جوناثان كولر: النظرية الأدبية، تر:رشاد عبد القادر، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ط1، 2004م.
31. جوناثان كولر، تر: مصطفى بيومي عبد السلام، مدخل إلى النظريات الأدبية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.
32. رمان سلدن، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تر: ماري تريز عبد المسيح وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، العدد1045، ج8، 2006م.

33. رونان ماكدونالد، موت الناقد، تر: فخري صالح، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2014م.
34. فنسنت ب. ليتش، النقد الثقافي النظرية الأدبية وما بعد البنيوية، تر: هشام زغول، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2022م.
35. كاثرين كيريرات أوريكيوني، المضمرة، تر: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
36. مجموعة من الكتاب، نظرية الثقافة، تر: علي سيد الصاوي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، 1997.

#### المعاجم و القواميس :

37. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحديين، صفاقس، تونس، ط1، 1986م.
38. ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1998م
39. أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م
40. لطيف زيتون، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.
41. لويس معلوف، المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط19. 1966م
42. ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهمم الشيباني، ط1، 2007م .
43. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004م،

المجلات :

44. العيد داز ، التفكير والنقد الثقافي عند عز الدين المناصرة، مجلة التعليمية، جامعة سيدي بلعباس، (المجلد12، العدد01) ماي 2022 م .
45. ألفة أحمد الماجري، سوسيولوجيا الثقافة انطلاقا من الاتجاهات الثلاثة ( برونيسلاو مالمينوفسكي ، كلود ليفي شتراوس، بيار بورديو)، مجلة مستقبل العلوم الاجتماعية، العدد الثامن، يناير 2022
46. صلاح قنصوة، النقد الثقافي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد63، شتاء وربيع 2004م.
47. صورية جغبوب، مجلة كلية الآداب واللغات جامعة خنشلة مقال بعنوان : النقد الثقافي ، مفهومه، حدوده، وأهم رواده، العدد الأول. 2015م
48. عبد النبي اصطيف، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلد (3/25) العدد 99، ربيع 2018م.

# فهرس المحتويات

شكر وعران

الإهداء

المقدمة..... أ-هـ

### المدخل :

#### نظرة عامة حول مفاهيم (النسق، المضمرة، الثقافة، الرواية)

- أولا: مفهوم النسق.....7
- ثانيا: مفهوم الثقافة.....10
- ثالثا: مفهوم المضمرة.....12
- رابعا: مفهوم النسق الثقافي.....13
- خامسا: أنواع الأنساق الثقافية.....15
- سادسا: مفهوم الرواية.....16

### الفصل الأول:

#### النقد الثقافي (المفهوم والأصول)

- 1- مفهوم النقد الثقافي.....21
- 2- نشأة النقد الثقافي وتطوره عند الغرب.....25
- 3- النقد الثقافي عند العرب.....29
- 4- روافد النقد الثقافي.....37

الفصل الثاني:

تمظهرات الأنساق الثقافية المضمرة في رواية مدن المرجان لزهرة كشاوي

- المبحث الأول: الأنساق المضمرة في العتبات ..... 43
- 1- عتبة الغلاف ..... 44
- 2- عتبة اللون ..... 49
- 3- عتبة العنوان ..... 52
- 4- عتبة المؤلف ..... 53
- 5- عتبة الإهداء ..... 54
- 6- عتبة التصدير ..... 56
- المبحث الثاني: تمظهرات الأنساق الثقافية في المتن ..... 57
- 1- النسق الاجتماعي ..... 58
- 1-1- النسق الذكوري المركزي ..... 58
- 1-1-1- صناعة الطاغية ..... 63
- 2 - 1 نسق الأنوثة ..... 66
- أ- الأنثى والجسد ..... 66
- ب- الأنثى وسيلة للإغراء ..... 69
- 2- النسق السياسي: ..... 72

72.....	أ-نسق الاستعمار
74.....	ب-نسق الخديعة
76.....	3-النسق النفسي:
76.....	أ-نسق الانشطار الذاتي
78.....	4-النسق الإيديولوجي:
79.....	أ-الآخر العثماني
81.....	الخاتمة
84.....	الملحق
87.....	قائمة المصادر والمراجع

## المخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تطبيق آليات النقد الثقافي للكشف عن الأنساق المضمرّة المتجذرة في الثقافة، والمنتقلة عن طريق الخطاب، محاولة لتتبع تطورها داخل الخطاب الروائي الجزائري مع اختيار رواية جزائرية معاصرة، هي رواية "مدن المرجان" لتكون مدونة البحث، محاولين إزاحة القناع الجمالي الذي استغلته الكاتبة لمخاتلة المتن الروائي، وتحليل خلفياتها المشكلة لأنساق الرواية، انطلاقاً من الإشكالية التالية: ما الأنساق الثقافية التي أضمرتها رواية مدن المرجان؟ وما الخلفيات الثقافية التي تبلورت حولها؟ وكيف استطاع كل منها التعبير عن نفسه داخل الرواية؟ ولإجابة عن هذه الإشكالية قسمت هذه الدراسة إلى تمهيد وفصلين، تناولنا في التمهيد: المجال المفاهيمي الموضح للعنوان (كمفهوم النسق والثقافة والمضمر)، يليه الفصل الأول الذي تم التطرق فيه لمفهوم النقد الثقافي وأصوله عند العرب والغرب، أما الفصل الثاني فقد انتقلنا فيه لمساءلة الرواية، ومحاولة استنتاج خطابها لاستخراج الأنساق فبدأنا بالنسق الاجتماعي؛ فالنسق السياسي والديني؛ وختاماً تم التطرق إلى النسق الأيديولوجي ممثلاً بالعنصرية والآخر، وحضور الثقافة الشعبية وترسبها في الخطاب.

**الكلمات المفتاحية:** النقد، الثقافة، المضمر، الأنساق، النقد الثقافي.

### **Abstract:**

This study aims to apply the mechanisms of cultural criticism to reveal implicit patterns rooted in culture and transmitted through discourse, an attempt to trace their development within the Algerian novelist discourse while choosing a contemporary Algerian novel, "Cities of Coral," to be the research blog, trying to remove the aesthetic mask that it exploited. The writer analyzes the novel's text and analyzes its backgrounds that form the patterns of the novel,

based on the following problem: What cultural patterns are included in the novel Coral Cities? What are the cultural backgrounds around which it developed? How were each of them able to express themselves within the novel? To answer this problem, this study was divided into an introduction and two chapters. In the introduction, we dealt with: the conceptual field explained in the title (such as the concept of style, culture, and content), followed by the first chapter in which the concept of cultural criticism and its origins among the Arabs and the West were discussed. As for the second chapter, we moved to question the novel. And trying to interrogate her speech to extract patterns, we started with the social pattern. The political and religious system; In conclusion, the ideological pattern represented by racism and the other, and the presence and sedimentation of popular culture in the discourse, were discussed.

**Keywords:** criticism, culture, implicit, patterns, cultural criticism.